إسلامية ❖ علمية ❖ أدبية

تأسست في شهر محرم ١٣٧٦هـ الموافق آب ١٩٥٦م
العدد السابع - المجلد ٥٤
رمضان ١٤٣١هـ - أيلول ٢٠١٠م

❖ ❖ ❖

**المشرف العام**

الاستاذ الدكتور عبد السلام العبادي
وزير الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية

**أسرة التحرير**

رئيس التحرير
الاستاذ الدكتور محمد الرعود
أمين عام وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية

المحرر المسؤول
سميح احمد عثامنة

سكرتير التحرير
أحمد عزت

**أعضاء الهيئة الاستشارية**

الأستاذ عبد الرحيم العكور
الاستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت
الأستاذ عبد السلام الطراونة
العين الدكتورة نوال الفاعوري
الاستاذ محمد حسن التل
الأستاذ عبد الله حجازي
الدكتور عبد الرحمن ابداح

❖ ❖ ❖

المراسلات: باسم المحرر المسؤول
عمان - الاردن ص.ب ١٥٩
هاتف: ٥٦١٦١٤١ ٦-٩٦٢
فاكس: ٥٦٠٢٢٥٤ ٦-٩٦٢

بريد الكتروني: mif@nic.net.jo
الموقع على الإنترنت: www.awqaf.gov.jo

ترحب المجلة بالكتّاب والمفكرين الإسلاميين نتاجاً هادفاً ونقداً بناء وذلك للمساهمة في تحقيق رسالتها وأهدافها

طبعت في مطابع وزارة الاوقاف

## اهداف المجلة

- بيان دور المملكة الاردنية الهاشمية الاسلامي، تاريخاً وحضارة ومعاصرة.
- العمل على ربط الحاضر بالماضي، لبناء مستقبل الأمة على أسس من الأصالة والمعاصرة.
- ترسيخ معاني الوحدة بين أبناء الأمة الاسلامية، وتدعيم قضاياها المشتركة.
- ابراز الدعوة الاسلامية في إطارها العالمي، وإقامة الصلات بين الشعوب على اساس من الاحترام المتبادل.
- العمل على بناء جيل مسلم قادر على الإسهام الحضاري على أسس من العلم والإيمان.
- إثارة الاهتمام بالقضايا والمشكلات الانسانية المعاصرة، وتقديم الحلول الناجعة لها في ضوء الفكر الاسلامي وقيمه العليا ورسالته الخالدة.
- توجيه الاسرة المسلمة للقيام بمسؤولياتها في ميادين الحياة المختلفة.
- التأكيد على معاني الانتماء الإسلامي، والشعور بالثقة لدى المسلم للقيام بدوره المسؤول.
- تشجيع البحوث الأصيلة في العلوم الإسلامية.

## سياسة المجلة

- التوجه نحو معالجة قضايا المجتمع من خلال التوجيه الاسلامي الراشد.
- التركيز على دور وزارة الاوقاف في نشر الثقافة الاسلامية، وإحياء التراث الاسلامي، والمحافظة على المقدسات الاسلامية.
- الامتناع عن كل ما يثير الفتن بين المسلمين.

ابراز الجوانب الايجابية في الحياة الاسلامية المعاصرة بهدف تعزيزها والمحافظة عليها.

- الاهتمام بجميع المذاهب الاسلامية، والبعد عن التعصب المذهبي والجمود الفكري، والأخذ بمبدأ التوازن والإعتدال في ذلك.
- اعتماد الدليل الشرعي وما يهدف اليه من تحقيق المصلحة العامة.
- اتخاذ الحوار كوسيلة لنشر الثقافة الاسلامية الحقة، واحترام الرأي المخالف.
- الانفتاح على الحضارة المعاصرة، ومعالجة المستجدات من خلال طرح النظرة الاسلامية التي تعالج الواقع وتسمو الى الكمال.
- توثيق الصلات بالمراكز الاسلامية في انحاء العالم وبخاصة المراكز المعنية بالشؤون الشبابية.

---

### سنة المجلة

**عشرة أعداد تتضمن عدداً ممتازاً كل عام وملاحق وهدايا حسب المناسبات الاسلامية**

# المحتويات

العدد السابع ١٤٣١هـ ٢٠١٠م


- الافتتاحية، مرحباً بك يا شهر البر والاحسان ..... أسرة التحرير ٤
- ابن دقيق العيد وجهوده في خدمة السنة/ح١ .. أ. د. محمد الرعود وأ. ابراهيم الشردوب ٦
- بحث في نظام الزكاة في الاسلام ..... أ. د. أحمد العوضي ٢٠
- رمضان كله خير ..... د. حكمت فريحات ٢٦
- كيف نستقبل رمضان ..... أ. زياد الصلاحات ٣٢
- فضائل شهر رمضان ..... أ. أحمد فريد ٣٧
- خلاصة الأحكام في شرعة الصيام ..... أ. سميح احمد عثامنة ٤٣
- غزوة بدر.. دواعيها وآثارها ..... د. مصطفى محمد الحديدي ٤٨
- مرحباً بك يا شهر الصيام ..... أ. هبة زكي العجرمي ٥٦
- فتح مكة في ٢٠ رمضان ..... د. ماجد المومني ٥٩
- موعد امساك الصائم وإفطاره دراسة مقارنة ..... أ. محمد أبو صعيليك ٦٣
- الاتجاهات الحديثة عند المستشرقين/ح١ ..... د. محمد مختار المفتي ٧٤
- قطوف دانية ..... الطالبة آيات عبد الجبار ٨٤
- سلسلة الأمراء من الهاشميين ..... د. نوح الفقير ٨٦
- التراث العربي الاسلامي ليس ناقصاً ..... أ. د. سامي الصقار ٩١
- المشروع الشامل للخطاب المنشود/ح٢ ..... أ. سعيد الكرواني ٩٨
- الزكاة ودورها في معالجة مشكلة الفقر ..... أ. اسماعيل السعيدات ١٠٩
- الصيام.. صحة أم تخمة؟ ..... أ. سهام ابو جودة ١١٧
- خصائص ومميزات الصيام وشهر رمضان ..... أ. محمود ابو سنينة ١٢١
- رمضان ضيف كريم أقبل.. ..... أ. احمد الأسعد ١٣٠
- التوبة ورمضان ..... الشيخ محمد عبد الكريم ١٣٣
- معركة عين جالوت ..... أ. محمد الجاعوني ١٤١
- أول أيام شهر رمضان وفقاً للحسابات الفلكية ..... أ. عماد مجاهد ١٤٥
- طريقان لمعرفة الله تعالى ..... الطالبة هديل هندم ١٤٨
- العشر الأواخر من رمضان ..... أ. ناصر محمد الأحمد ١٥٠
- خطبة الجمعة، ﴿وان تصوموا خير لكم..﴾ ..... أ. محمد السعدي ١٥٥


ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

## الإفتتاحية

# مرحباً بك يا

ها هي مواسم العطر جاءت بشذاها تنشره بين الناس، مواسم لجني الحسنات، والتخفيف من السيئات، فيا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أدبر، يقول رسول الله ﷺ: «اذا كانت أول ليلة من رمضان، فتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وغلقت أبواب جهنم فلم يفتح منها باب، وصفدت الشياطين».

ويقول ﷺ: «أتاكم شهر رمضان، شهر بركة، يغشاكم الله فيه برحمته، ويحط الخطايا، ويستجيب الدعاء، ينظر الى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حرم رحمة الله».

ان بلوغ شهر رمضان المبارك، من اجل النعم والمنن لأهل الإيمان والتقوى، حتى كان من دعاء السلف الصالح من هذه الأمة، اللهم سلمنا الى رمضان وسلم لنا رمضان، وتسلمه منا متقبلاً يا ذا الجلال والإكرام.

فبشرى لنا بأشرف الشهور، وكيف لا يبشر المؤمن بشهر يفتح الله فيه أبواب الجنة، كيف لا يبشر المذنب بشهر يغلق الله فيه أبواب جهنم، كيف لا يبشر العاقل بوقت تصفد فيه الشياطين.

انه شهر لا تحصى فضائله، ولا يحاط بفوائده، فحري بالمسلمين ان يستقبلوا هذا الشهر الكريم المبارك، بتهيئة القلوب وتصفية النفوس وتطهير الأموال والتفرغ لتلاوة القرآن الكريم.

لأن المؤمنين يجدون في نهار رمضان لذة الصابرين، ويجدون في مسائه وفي ليله لذة المناجاة، هم الذي تفتح لهم أبواب الجنان في رمضان، وتغلق عنهم أبواب النيران، وتتلقاهم الملائكة بالبشر والسلام، هؤلاء المؤمنون هم الذين ينسلخ عنهم هذا الشهر الكريم مغفورة ذنوبهم، مكفرة سيئاتهم، مجلوة قلوبهم، مجددة بقوة الايمان واليقين عزائمهم.

# شهر البر والاحسان

ففي الحديث النبوي الشريف يؤكد رسول الله ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: اي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان».

ولقد كان السلف يجنون من الصيام، ثماراً يانعة، لذلك كان نهارهم نشاطاً وانتاجاً واتقاناً، وكان ليلهم تهجداً وقرآناً، وكان شهرهم كله تعلماً وتعبداً وإحساناً، وكانت السنتهم صائمة، فلا تلغوا برفث او جهل، وعيونهم صائمة، فلا تنظر الى حرام أو فحش، وقلوبهم صائمة، فلا تعزم على خطيئة أو إثم، وأيديهم صائمة، فلا تمتد بسوء أو أذى لأحد من خلق الله عز وجل.

حقاً ان هذا السلوك الراقي، هو ثمرة الصيام الخالص لله رب العالمين، هذه المدرسة التربوية التي تتكرر كل عام، انها اعظم فرصة لتجديد الايمان، وتبصرة السلوك والسير على الصراط السوي.

لهذا حينما يستقبل المسلم موسماً يرجو غنيمته، فإنه يجب عليه تفقد نفسه ومراجعة عمله، حتى لا يتلبس بشيء من الموانع، التي تحول بينه وبين قبول الأعمال، أو تلحق النقص فيه، اذ ما الفائدة من فعل مهدور أجره، وعمل يرجى ثوابه فيلحق وزره، من هنا كان هدي المصطفى ﷺ «كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش»!.

يقول الإمام ابن رجب الحنبلي: «واعلم انه لا يتم التقرب الى الله بترك هذه الشهوات المباحة اصلاً في غير حال الصيام، الا بعد التقرب اليه بترك ما حرم الله في كل حال، كالكذب والظلم والعدوان على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم».

اسرة التحرير

# ابن دقيق العيد

## وجهوده في خدمة السنّة وعلوم الحديث

■ بقلم الاستاذ الدكتور محمد الرعود

والاستاذ ابراهيم احمد الشردوب

❖ المقدمة:

**إن الله لم يخلق الإنسان عبثاً، ولم يتركه سدى، بل خلقه لعبادته، وجعل العبادة وظيفة لا تقوم الحياة إلا بها، ولمكانة هذه الوظيفة وأهميتها، استحقت كل ذلك الحشد الكريم من رسل الله وأنبيائه، ومن أجل بيانها وتفصيل أحكامها ومقوماتها، تنزلت الكتب المطهرة، التي كان آخرها القرآن الكريم الذي انزل على نبي الإنسانية ورسول الله إلى العالمين محمد ﷺ وجعل الله لكتابه خصائص يختص بها منها أنه معجز بلفظه ومعناه، وأنه مصدق لما قبله من الكتب ومهيمن عليها.**

وحتى لا يكون للناس على الله حجة، أمر الله الرسول ﷺ أن يبين كتابه فقال تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾**[1] وهو بيان الصادق المطاع، الذي أمر الله بمحبته، والتزام طاعته وحذر من مخالفته وعصيان أمره، فقال تعالى: **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾**[2].

وقال: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**[3]، وأمرهم بسنته لأنها الترجمة العملية لكتاب الله والتطبيق المعصوم لأحكامه، إلى جانب ما فيها من البيان الواضح، والمنهاج القويم والأمان من الزيغ والضلال.

● ومن نعم الله تعالى علينا العلماء العاملون؛ فهم حجة الله في أرضه وبهم يعرف الخطأ من الصواب والهدى من الغي والضلال.

● وتاريخنا الإسلامي "بحمد الله" حافل بالعلماء العاملين، الذين تحلوا بصفة العلم والعمل والتقي والزهد والجرأة في قول الحق والمحافظة على حدود الشرع.

● وكان قاضي القضاة تقي الدين محمد بن علي بن وهب بن دقيق العيد، أحد هؤلاء العلماء العاملين، ومن أساطين الفكر وأئمة الدين، وممن يبتغون بعلمهم وجه الله والدار الآخرة، ويخشون الله في أقوالهم وأفعالهم، من أجل ذلك وغيره، أردنا في هذا البحث أن نتناول سيرة هذا العالم الكبير ونتعرف على جهوده في الحديث و علومه، وارتأينا تسمية بحثنا بـ **"ابن دقيق العيد وجهوده في خدمة السنّة وعلوم الحديث"** وجعلنا بحثنا هذا في مقدمة وفصلين وخاتمة على النحو التالي:

**الفصل الأول: التعريف بابن دقيق العيد، وفيه اربعة مباحث:**

المبحث الأول: نسبه ومولده وحياته.

المبحث الثاني: مولده ونشأته.

المبحث الثالث: طلبه العلم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أساتذته ومن روى عنهم.

المطلب الثاني: صبره وجلده في طلب العلم.

المبحث الرابع: تصديه للقضاء والتدريس وثناء العلماء عليه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تصديه للتدريس.

المطلب الثاني: تصديه للقضاء.

المطلب الثالث: ثناء العلماء عليه وآراؤهم فيه.

المطلب الرابع: وفاته.

**الفصل الثاني: جهود ابن دقيق العيد في الحديث الشريف، وفيه مبحثان:**

المبحث الأول: رواية الحديث عند ابن دقيق العيد.

المبحث الثاني: جهود ومؤلفات ابن دقيق العيد في الحديث الشريف، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: كتبه في علم الحديث رواية.

أولا: كتاب الإلمام في أحاديث الأحكام.

ثانياً: كتاب شرح الأربعين النووية.

ثالثاً: كتاب الإمام في معرفة الأحكام .

رابعاً: كتاب أربعون حديثاً تساعية الإسناد.

خامساً: كتاب الأربعون حديثا في الرواية عن رب العالمين.

المطلب الثاني: كتبه في علم الحديث دراية.

أولاً: كتاب الاقتراح في معرفة الاصطلاح.

ثانياً: كتاب طبقات الحفاظ .

المطلب الثالث: مؤلفاته في العلوم عامة .

**الخاتمة:** وفيها أهم نتائج البحث .

❖ **الفصل الأول: التعريف بابن دقيق العيد، وفيه ثلاثة مباحث:**

■ **المبحث الأول: نسبه ومولده وحياته، وفيه مطلبان:**

● **المطلب الأول: اسمه و نسبه و لقبه:**

هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع ابن أبي الطاعة القشيري المنفلوطي الصعيدي القوصي المشهور بابن دقيق العيد: ابن الشيخ القدوة العالم مجد الدين المنفلوطي المصري[٤].

ولا خلاف بين من ترجموا له في اسمه و كنيته ولقبه، ولا في اسم أبيه واسم جده الأول واسم جده الثاني ولا في اسم جده الثالث، إلا أن بعضهم اقتصر على ذكر اسمه واسم أبيه واسم جده الأول، وعلى لقبه وبعضهم فصّل وذكر كنيته و اسم جده الثاني واسم جده الثالث، كالأدفوني[٥] وابن عماد الحنبلي[٦].

وسبب تسميته بابن دقيق العيد، هو أن جده الثاني مطيعاً كان عليه يوم عيد طيلسان شديد البياض، فقال بعضهم: كأنه دقيق العيد فلقب به رحمه الله تعالى[٧].

أما تسميته بالقشيري، فلأنه من أحفاد المحدث بهرز بن حكيم القشيري كما ذكر ذلك ابن حجر في الدرر الكامنة[٨]، وبهرز بن حكيم هذا من قبيلة قشير.

أما نسبته إلى منفلوط، فلأن أباه علي ابن وهب ولد فيها ونشأ وترعرع بين ربوعها، حتى ولي الحكم فيها.

أما نسبته إلى قوص فلأن أباه رحل إلى قوص في صعيد مصر، فنشأ الشيخ تقي الدين فيها وأخذ باكورة علمه من علمائها، كما ولي التدريس و القضاء فيها.[٩]

وأما بالنسبة إلى نسبه من جهة أمه، فالصحيح هو ما ذكره الأدفوني والأسنوي وهو وهو أنها بنت الشيخ المقترح فأصله كريمان وأبواه عظيمان.

وكنية جده وهب أبو العطايا وهو أول

من عرف بابن دقيق العيد ولقب أبيه مجد الدين وكنيته أبو الحسن وذلك باتفاق جميع من ترجموا له.

● **المطلب الثاني مولده ونشأته:**

ولد الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد يوم السبت الخامس و العشرين من شعبان سنة ٦٢٥ هجري في سفينة شراعية كانت تمخر مياه البحر الأحمر، على مقربة من ثغر ينبع، وأبواه في طريقهما إلى الحجاز متوجهان لأداء فريضة الحج.

وهي مناسبة طيبة وعلامة فارقة تلك التي تحدث للإنسان عند مولده، فهي مؤشر صلاح و علامة رضىً إن شاء الله تعالى.

وطاف به والده حول الكعبة ودعا له أن يجعله الله من علماء الأمة العاملين[١٠]، وهذا الذي ذكرناه هو محل اتفاق بين معظم الذين ترجموا له، وذلك بالنسبة للسنة التي ولد فيها وأنه ولد على ظهر سفينة شراعية قريباً من ساحل ينبع وأبواه متوجهان للحج **وغنما** حصل خلاف في أمرين:

**الأول:** بالنسبة للشهر الذي ولد فيه.

**الثاني:** بالنسبة لتاريخ ذلك اليوم من ذلك الشهر.

وهنا نود أن نذكر الراجح من هذه الأقوال فهو ما يعنينا، ونترك التفصيلات والآراء الأخرى لمن أراد الرجوع إليها من مصادرها.

فالصحيح هو ما ذكره جمهور المؤرخين ممن ترجموا لابن دقيق العيد، وهو أنه كان في شهر شعبان وفي الخامس والعشرين منه.

ونشأ ابن دقيق العيد في قوص بين أسرة كريمة، تعد من أشرف بيوتات الصعيد وأكرمها حسباً ونسباً، وأشهرها علماً وأدباً.

بدأ ابن دقيق العيد طريق العلم بحفظ القرآن الكريم، ثم تردد على حلقات العلماء في قوص فدرس الفقه المالكي على أبيه، والفقه الشافعي على تلميذ أبيه البهاء القفطي ودرس علوم العربية على محمد أبي الفضل المرسي، ثم ارتحل إلى القاهرة واتصل بالعز بن عبد السلام فأخذ منه الفقه الشافعي والأصول ولازمه حتى سنة ٦٦٠ هـ وسمع من علمائها ثم عاد إلى مصر[١١].

■ **المبحث الثاني: طلبه للعلم:**

كان ابن دقيق العيد مكباً على طلب

العلم منذ نشأ في قوص في صعيد مصر، وكانت قوص آنذاك لا تقل كثيراً عن مصر القديمة أو القاهرة من حيث وفرة رجال العلوم الدينية واللغوية، وقد كثرت فيها المدارس، فكان فيها ستة عشر مكاناً للتدريس، ومن بينها دار الحديث التي كانت في بيت ابن دقيق العيد، فقد كانت منبع العلم والعلماء.

وأول ما بدأ علمه بقراءة كتاب الله الحكيم على والده، ومنه تلقى مبادئ العلوم الشرعية و العربية، ودرس عليه فقه المالكية، كما سمع منه الحديث وقرأ عليه الأصول، ودرس فقه الشافعية على تلميذ أبيه القاضي بهاء الدين هبة الله بن عبد الله العذري القفطي، وحضر عند القاضي شمس الدين محمد بن محمود الأصفهاني كما كان حاكماً بقوص، ودرس عليه علم الأصول، وقرأ العربية على الشيخ شرف الدين محمد بن أبي الفضل المرسي وغيره.

ثم رحل إلى القاهرة، فقرأ على شيخ الإسلام أبي محمد العز بن عبد السلام فقه الشافعية، ورحل إلى الإسكندرية والشام والحجاز وغيرها طلباً للفقه والحديث.

وقد سمع الحديث من والده كما سمع الحديث من علي بن الحسن البغدادي المعروف بابن المقير، وعلي بن هبة بن سلامة الشافعي المعروف بابن الجميزي، وعبد الوهاب بن ظافر بن رواج الإسكندري المعروف بابن رواج، وأحمد بن محمد بن عبد العزيز المعروف بابن الحباب ومحمد بن محمد التيمي البكري وغيرهم.

وممن سمع منه في دمشق أحمد بن عبد الدايم المقدسي مسند الشام و فقيهها ومحدثها و خالد بن يوسف النابلسي.

وأكثر من تأثر به من الفقهاء الذي كان الأب الروحي له العز بن عبد السلام، حيث ورث عنه علمه واجتهاده وتقواه وجرأته في الحق، وكان أنبه تلاميذه ومن المعجبين به، وهو الذي لقبه (بسلطان العلماء)[١٢].

إن في صبر ابن دقيق العيد و جلده في طلب العلم، عظة و قدوة لطلبة العلم و العلماء في زماننا الحاضر حيث ضعفت الهمم وتقاصرت وركنت النفوس إلى الراحة والدعة.

كان الشيخ تقي الدين رحمه الله منقطعاً للعلم والعبادة، فكان لا ينام الليل إلا قليلاً فكانت أوقاته معمورةً بالدرس والمطالعة والتحصيل أو الإملاء والتأليف ورواية الحديث، فإن أراح نفسه من بعض ذلك العناء فلا يرى إلا قائماً يصلي في المحراب، أو جالساً يتلو كلام الله أو ماشياً يتفكر في خلق الله، متدبراً صنعه، مستدلاً بذلك على قدرة الله ووحدانيته، فهو منصرف بجسمه وفكره، سواد ليله و بياض نهاره إلى البحث والتدقيق والاستنباط والتحقيق أو الصلاة والقيام، وتقديس الملك العلام.(١٣)

قال السبكي(١٤): أما دأبه في الليل علماً وعبادة فأمر عجاب، ربما استوعب الليل فطالع مجلداً أو مجلدين، وربما تلا آيةً فكررها إلى مطلع الفجر.

وقال أحمد أحمد بدوي بعد أن ذكر درجته العلمية ما نصه(١٥): وقد ساعده على بلوغ هذه المنزلة من العلوم ذكاء ممتاز، ودأب على التحصيل، وسهر بالليل للدرس، وشره في القراءة، وغرام بالإطلاع، وحافظة قوية.

وقال ابن حجر(١٦): قرأت بيد الشيخ الحافظ أبي الحسين بن أيبك المصري وسمعت الصاحب شرف الدين محمد بن الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب بهاء الدين رحمه الله تعالى قال: كان ابن دقيق العيد يقيم في منزلنا بمصر في غالب الأوقات، فكنا نراه في الليل إما مصليا وإما ماشيا في جوانب البيت وهو مفكر إلى طلوع الفجر.

فإذا صلى الفجر إضطجع إلى صحوه، قال الصاحب شرف الدين: وسمعت الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد ابن إدريس العراقي المالكي يقول: أقام الشيخ تقي الدين أربعين سنة لا ينام الليل، إلا أنه كان إذا صلى الصبح إضطجع على جنبه إلى حيث يتضحى النهار.

وهكذا على طلاب العلم في هذه الأيام عليهم أن لا يضيعوا أوقاتهم إلا فيما يرضي الله عز وجل وأن يجعلوا تقوى الله نصب أعينهم فلا يكفي الانشغال بطلب العلم عن العبادة و التوجه الصادق إلا لله لأنه المسدد والمعين والهادي إلى الطريق المبين.

**■ المبحث الثالث: تصديه للتدريس والقضاء وثناء العلماء عليه ووفاته: وفيه**

**اربعة مطالب:**

● **المطلب الأول: تصديه للتدريس:**

نستوحي في هذا المطلب لمهمة التدريس التي قام بها الشيخ ابن دقيق العيد وأهم المدارس التي درس فيها وذلك لما في وظيفة التدريس من أهمية في صقل شخصية الإنسان وزيادة مهاراته وقدراته وكذلك فهي دليل عطاء وبذل و اجتهاد ومثابرة .

بدأ التدريس في مدينة قوص في المدرسة النجيبية[١٧]، كما درس في دار الحديث التي بنيت له وصارت تعرف بالمدرسة السابقية، وقصده طلاب العلم من أقاصي الصعيد ومن كل مكان، وظفر بشهرة واسعة وتقدير عميق، وبعد أن عم النفع به في قوص خاصة، والصعيد عامة، رحل إلى القاهرة مركز السلطنة وذلك لنشر علمه وتنمية مواهبه.

حيث كانت القاهرة تغص بدور العلم والمدارس وطلبة العلم و الكتب العلمية، ولقد كان لتلك المدارس جوها الخاص الذي يساعد الطلبة على الانتظام فيها دون تبعات مالية أو عقبات أو ما شابه ذلك، بل كان الجو فيها مهيئا للتحصيل والمثابرة والإبداع.

ومن مزايا هذا التعليم وأساليبه أنه كان يترك للطالب أن يختار شيخه وكتابه تبعاً لميله الخاص، وقدرته الشخصية وكفاءته العلمية، فإذا سلك السبيل وبلغ الغاية سما قدره وبزغ نجمه، وإلا نكص على عقبيه، فعاد وطلب العلم أو انحرف إلى حرفة.

وكان ثم ما يشبه الشهادات الدراسية الحديثة وهي (الإجازات العلمية) وهي شهادة شخصية يمنحها أحد أعلام العلماء إلى أحد طلابه، ويشهد فيها أن الطالب المذكور قرأ عليه كتاب ( كذا) قراءة فهم وتدبر ومعرفة، أو أنه مهر بالفقه مثلاً وأصبح أهلاً للإفتاء، أو أنه أجازه به، أي صرح له بمزاولته، أو أنه بزغ بالأدب وأصبح كفءً راوية كتاب فيه، أو ديوان، أو أنه سمع عنه جملة من أحاديث الرسول ﷺ ورواها عنه بسندها، وحفظها بهذا السند أو أنه أجاز له روايتها عنه، باعتباره حافظا جديدا من حفاظها[١٨].

أما أشهر المدارس التي كانت موجودة في عصره في الفسطاط والقاهرة فهي: الجامع الأزهر، المدرسة الصالحية،

المدرسة الفاضلية، المدرسة الصلاحية، وجامع عمرو بن العاص، المدرسة الكاملية، المدرسة الناصرية بالقرافة، المدرسة الظاهرية والمدرسة المنصورية وقد درس ابن دقيق العيد في ستة منها وهي:

**١. المدرسة الفاضلية:** وكان ابن دقيق العيد يدرس فيها المذهب الشافعي والمالكي[١٩].

**٢. المدرسة الكاملية:** وكانت تعرف بدار الحديث والتي بناها وأنشأها الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل الأيوبي، وكان ابن دقيق العيد يسكن فيها وقد تولى مشيختها[٢٠].

وقد ظلت المدرسة الكاملية عامرة بكبار العلماء المشتغلين في علم الحديث الشريف حتى عام(٨٠٦) للهجرة ثم ولي أمرها من لم يحسن القيام بها فأخذت في الزوال.

**٣. المدرسة الناصرية بالقرافة:** أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي و أوقف عليها عدة أوقاف وأقام عليها دروساً للشافعية[٢١].

**٤. المدرسة الصلاحية:** أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي عام (٥٧٢)هـ بجوار قبة الشافعي وتولى التدريس فيها شيخنا ابن دقيق العيد، كما تولى التدريس فيها فيما بعد ابن حجر العسقلاني وغيره من كبار العلماء.[٢٢].

**٥. المدرسة الصالحية:** أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب عام (٦٣٩)هـ وكانت تتكون من أربع مدارس معاً، واحدة لكل مذهب من المذاهب الأربعة وهي أول مدرسة أنشئت على هذا النمط[٢٣].

**٦. المدرسة المنصورية:** وأنشأها الملك المنصور قلاوون ورتب فيها دروساً بالمذاهب الأربعة ودرساً في الطب، كما رتب بقبته المجاورة لهذه المدرسة درساً في الحديث ودرساً في التفسير، وميعاداً للوعظ، وعني باختيار مدرسيها عناية تامة وكان ابن دقيق العيد يدرس في القبة[٢٤].

**وأما أشهر تلاميذه:** فقد تتلمذ على الشيخ خلق كثير في قوص والقاهرة وكان من أشهر تلاميذه، القاضي عماد الدين ابن الأثير الحلبي الشافعي الذي استملى منه كتاب إحكام الأحكام، والشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس، وقطب الدين عبد الكريم بن عبد النور الحلبي، وقاضي القضاة علاء الدين القوني، وقاضي

القضاة علاء الدين الأخنائي وغيرهم.

● **المطلب الثاني: تصديه للقضاء:**

لاحظنا من خلال ما سبق أن العالم الجليل ابن دقيق العيد قضى معظم حياته منشغلاً بطلب العلم والتدريس والإفتاء، متنقلاً بين المدارس العلمية بين شيوخ وتلاميذ إلا أنه وفي أواخر حياته وفي السبعين من عمره تولى القضاء، حيث عين قاضياً للقضاة الشافعية في عهد السلطان كتبغا، وكان ذلك سنة ستمائة وخمس وستين هجرية (٦٦٥ هـ).

وقد ولي القضاء قبل ذلك في قوص، وباشره فيها عن المالكية مدة، أثناء إقامته وتدريسه فيها، وذلك بعد تعدد منصب قاضي القضاة، وفق تعدد مذاهب أهل السنة، وهي المذاهب الأربعة[٢٥].

وكان منصب قاضي القضاة في ذلك الوقت بمثابة وزير العدل، بل أشرف منزلة وأعظم خطراً، إذا كان السلطان إذا أراد أن يستنفر الناس للجهاد، أو شاء أن يأخذ منهم أموالهم لتجهيز الجيش والتقوي على العدو، لا يستطيع أن يفعل شيئاً من ذلك، حتى يقره على ذلك قاضي القضاة، كما كان يجلس مع السلطان لقضاء المظالم، ومن هنا كانت الصلة وثيقة بين القضاة والسلاطين والأمراء.

وقد اعتبر بعض تلاميذ ابن دقيق العيد وبعض من أرخوا له، أن قبوله لهذا المنصب زلة من زلاته، فقد نقل ابن حجر[٢٦] عن تلميذه ابن سيد الناس فتح الدين اليعمري قوله :- لو لم يدخل في القضاء لكان ثوري زمانه وأوزاعي أوانه.

ونقدهم هذا في توليه القضاء فيه نظر كما سيظهر، فقد تولى القضاء بعد إباء شديد كما ذكر ذلك السبكي في طبقاته و الصلاح الصفدي في أعيان العصر والأسنوي وغيرهم من الثقات[٢٧].

قال الأسنوي في توليه القضاء: فلما مات القاضي تقي الدين بن بنت الأغر سألوه في القضاء فامتنع، فتحيلوا عليه فقالوا له عن شخصين لا يصلحان عنده للقضاء: إن فلاناً وفلاناً قد انحصر الأمر فيهما إن لم تفعل، والظاهر أنه كان كذلك، فرأى أنه قد وجب عليه القبول، فقبل حينئذ.

ومن هنا نعلم أن ابن دقيق العيد ما قبل منصب قاضي القضاة إلا بعد أن علم بأنه سيؤول إلى من لا يستحقه، ولا تتوفر

فيه شروط منصب القاضي العادل، فوجد الأمر لازماً عليه أن يقبله، لتعينه عليه بحيث لو رفض لوقع في الإثم، فأصبح قبوله واجباً دينياً لا مناص من القيام به.

وكان رحمه الله متبرماً بمنصب قاضي القضاة، فقد نقل الأدفوني[٢٨] نفسه عن الشيخ شمس الدين بن عدلان أنه قال له مرة: والله ما أخار الله لمن يلي بالقضاء، ثم قال له: يا فقيه، لو لم يكن إلا طول الوقوف للسؤال و الحساب لكفى، ثم عزل نفسه مرة بعد مرة إلا أنه كان يسأل فيعاد إليه[٢٩].

وكم خدعت الرياسة كثيرا من العلماء، فساروا وراء المظاهر والأبّهة والخيلاء، فباعوا دينهم بدنياهم، فنقص قدرهم، وأسقطت قيمتهم في نظر العامّة والخاصّة أما ابن دقيق العيد فكان مثال الصرامة والحزم، فلم يدار ولم يجار في سبيل المحافظة على المنصب، كما لم تأخذه في دين الله والحق لومة لائم، ثمّ كان إذا سمع ما يكره عزل نفسه، فرفع منصب القضاء قدره، كما رفع هو منصب القضاء.

وكان له مواقف حسنة وشجاعة وحازمة تدلّ على تمسكه بالحق ودفاعه عنه وتأثره بشيخه العز بن عبد السلام؛ فهو أبطل بدعة خلع ملابس الحرير على القضاة وغيّرها للصوف، وأستاذه العز أبطل بدعة حمل السيف على المنبر و لبس السواد أثناء الخطبة وأبطل صلاتيّ الرّغائب و نصف شعبان، و منع منهما لعدم صحّة ذلك عنده.

وإسقاطه لشهادة نائب السلطنة وإنشاده للرسول ذلك البيت الذي يدلّ على عدم اعتبار شهادة المماليك، يشبه إفتاء الشيخ العز بن عبد السلام بإسقاطه شهادة المماليك لعدم ثبات حريتهم عنده، هذه المواقف وغيرها الكثير تظهر أثر شخصيّة العز بن عبد السّلام على شيخنا ابن دقيق العيد، من إخلاص للعلم، ونزاهة في القضاء، وشجاعة في الجنان، وجرأة في الحق وعدم تعلّق بالدنيا وزينتها[٣٠].

**● المطلب الثالث: ثناء العلماء عليه وآراؤهم فيه:**

لقد وصفه كثير من المؤرخين وكتاب التراجم والطبقات كالسبكي وابن فضل الله العمري والأدفوني وغيرهم، بأنه لم يزل حافظاً للسانه مقبلاً على شأنه، وقف

نفسه على العلوم وقصدها، فأوقاته كلها معمورة بالدرس والمطالعة أو التحصيل والإملاء.

قال عنه ابن سيد الناس: "لم أر مثله فيمن رأيت، ولا حملت عن أجلّ منه فيما رأيت ورويت، وكان للعلوم جامعاً وفي فنونها بارعاً، مقدماً في معرفة علل الحديث على أقرانه، منفرداً بهذا الفن النفيس في زمانه، بصيراً بذلك شديد النظر في تلك المسالك وكان حسن الاستنباط للأحكام والمعاني من السنة والكتاب مبرزاً في النقلية والعقلية"[٣١].

وقال عن الأدفوني في طالعه السعيد: كان له قدرة على المطالعة، رأيت خزانة المدرسة النجيبية بقوص فيها جملة كتب من جملتها عيون الأدلة لابن القماز في نحو ثلاثين مجلدة وعليها علامات له، وكذلك رأيت في المدرسة السابقية السنن الكبرى للبيهقي على كل مجلدة علامة له أيضاً[٣٢].

يحكى أن ابن عبد السلام كان يقول: ديار مصر تفتخر برجلين في طرفيها، ابن منير بالإسكندرية، وابن دقيق بقوص.

كان "رحمه الله" -مع غزارة علمه- ظريفاً، له أشعار، وملح وأخبار[٣٣].

قال الذهبي في معجمه[٣٤]: قاضي القضاة بالديار المصرية وشيخها وعالمها، الإمام العلامة، الحافظ القدوة الورع، شيخ العصر، كان علامة في المذهبين، عارفاً بالحديث وفنونه، سار بمصنفاته الركبان.

قال السبكي في الطبقات الكبرى[٣٥]: ولم ندرك أحداً من مشايخنا يختلف في أن ابن دقيق العيد العالم المبعوث على رأس السبعمائة، وأنه أستاذ زمانه علماً وديناً.

قال ابن كثير في طبقاته[٣٦]: أحد علماء وقته، بل أجلهم وأكثرهم علماً وديناً، وورعاً وتقشفاً، ومداومة على العلم في ليله ونهاره مع كبر سنه وشغله بالحكم وله التصانيف المشهورة، والعلوم المذكورة، برع في علوم كثيرة لا سيما في علم الحديث، فاق فيه أقرانه، وبرز على أهل زمانه، رحلت إليه الطلبة من الآفاق، ووقع على علمه وورعه وزهده الاتفاق.

**ومن مآثره:** يقال: إنه طالع كتب المدرسة الفاضلية بالقاهرة عن آخرها، وقد كان دأبه أن يقضي الليل في المطالعة

والعبادة، فكان يطالع في الليلة الواحدة المجلد أو المجلدين، وربما تلا آية واحدة من القرآن الكريم فكررها حتى مطلع الفجر.

استمع له بعض أصحابه ليلة وهو يقرأ فوصل إلى قوله تعالى: ﴿**فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون**﴾ قال: فما زال يكررها إلى طلوع الفجر، من أقواله: "ما تعلمت كلمة ولا فعلت فعلاً، إلا وأعددت له جواباً بين يدي الله عز وجل".

**من سماته:** كان "رحمه الله" مغرماً بالقراءة، كثير النقد والتحري والتدقيق فيما يقرأ، لا يقبل الشيء من غير أن يعمل فيه فكره فيقبله أو يرفضه.

وكان "رحمه الله" في قضائه وآرائه وفتواه مثلاً أعلى للصدق والعدالة والنزاهة، لا يخشى في الحق لومة لائم أو بطش سلطان، فما كان يراه حقاً يطمئن عليه الشرع ينفذه ولو كان في ذلك غضباً للحكام والسلاطين.

وقد كان "رحمه الله" كريماً جواداً بجانب غيرته على الحق لا يخشى فيه لومة لائم[٣٧]، ومن أهم ميزاته عدم التعصب المذهبي ودعواته المتكررة إلى إتباع النص إن ثبت وصح.

من هذا نرى أن العلماء متفقون على سعة علمه وتقواه وورعه، وأنه أستاذ عصره علماً وديناً وورعاً، بل إنهم يكادون أن يكونوا مجمعين على أنه هو العالم المبعوث على رأس السبعمائة المشار إليه في الحديث المصطفوي وهو قوله عليه الصلاة والسلام: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" رواه ابو داود.

● **المطلب الرابع: وفاته:**

بعد أن أنهى ابن دقيق العيد حياته العلمية والعملية، وأدى رسالة العلم التي حملها بأمانة وصدق، توفي رحمه الله يوم الجمعة الحادي عشر لصفر (٧٠٢) هـ، ولم يذكر أحد ممن كتبوا عنه الظروف والملابسات التي اكتنفت وفاته، وإنما اختصروا على ذكر الزمان الذي مات فيه، والمكان الذي دفن فيه ووصف جنازته ورثائه[٣٨].

قال الأدفوني[٣٩]: توفي يوم الجمعة حادي عشر صفر عام اثنين وسبعمائة ودفن في يوم السبت بسفح المقطم، وكان ذلك

يوماً مشهوداً عزيزاً مثله في الوجود، سارع الناس إليه ووقف جيش ينتظر الصلاة عليه، رحمه الله تعالى، وهو ممن تألمت على فوات رؤيته والتحلي بفوائده وبركته.

ثم قال: ورثاه جماعة من الفضلاء والأدباء بالقاهرة وقوص، منهم شعيب بن أبي شعيب والأمير محمد مجد الدين بن اللمطي، وشرف الدين النصيبي.

ولم يذكر أي خلاف بين المؤرخين في تاريخ وفاته أو مكانها، وكانت وفاته عن سبعة وسبعين عاماً قضاها في التعليم والتعلم والتحصيل والإملاء والعبادة، وقضى منها سبع سنوات في القضاء، إلا أنه لم يترك التدريس أثناءها كما وضَحنا ذلك سابقاً.

عاش "رحمه الله" معظماً مبجلاً ومات معظماً معززاً مكرماً، وقد أنجب من الأولاد الذكور عشرة، سماهم بأسماء الصحابة العشرة المبشرين بالجنة.

رحم الله تعالى العالم الجليل تقي الدين بن دقيق العيد وأسكنه فسيح جناته ونفعنا بعلمه النافع الغزير، وجعلنا ممن يلتقي معه في الفردوس الأعلى يوم القيامة إنه تعالى سميع مجيب.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

(١) الآية (٤٤) من سورة النحل .

(٢) الآية (٣١) من سورة آل عمران .

(٣) الآية (٧) من سورة الحشر.

(٤) السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦ ص ٢- ٢٣ الطبقة .

الحسينية (١٣٢٤هجري) بتصرف مختصر الذهبي: شمس الدين محمد، تذكرة الحفاظ، ج٤ ص٤٨١-٤٨٣ دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبقة الرابعة.

(٥) الادفوني: كمال الدين جعفر بن ثعلب، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد.

ص٥٦٧ -٦٠٢ الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م، تحقيق سعيد محمد حسن.

(٦) الحنبلي، عبد الحي بن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٦ ص٥-٦ منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(٧) الادفوني: "الطالع السعيد" ص٤٣٥، المرجع السابق.

(٨) ابن حجر، احمد بن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٦ ص٢-٢٣ مطبعة المدني، القاهرة بتصرف واختصار.

(٩) الاسنوي: جمال الدين عبد الرحيم بن حسن: طبقات الشافعية ج٢ ص٢٢٧ .

(١٠) السبكي: "طبقات الشافعية" ج٦ ص٣ تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد (١٣٩١هـ).

(١١) محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، مكتبة الآداب ومطبعتها، الطبقة الثانية ج٢، المجلد الثالث ص٦٧ .

(١٢) محمد رامز عبد الفتاح مصطفى العزيزي: ابن دقيق العيد -عصره -حياته-علمه وأثره في الفقه ص٥٧-٥٩ دار البشير، عمان.

(١٣) محمد رامز عبد الفتاح مصطفى العزيزي: المصدر السابق ص٧٠ .

(١٤) السبكي: "طبقات الشافعية" ج٦ ص٤ .

(١٥) احمد احمد بدوي: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية مصر والشام ص١٦٨، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٢م.

(١٦) ابن حجر العسقلاني: "الدرر الكامنة " ج٤ ص٢١٢ .

(١٧) الاسنوي: "طبقات الشافعية" ج٢ ص١٢٢٩ .

(١٨) محمود رزق سليم: "عصر سلاطين المماليك " ج٢، مجلد ٣ ص٢٩ (بتصرف).

(١٩) ابن رشيد، محمد بن عمر الفهري السبتي: ملئ الغيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى مكة وطيبة (رحلة ابن رشيد) مخطوط وموجود الجزء الثالث منه في الجامعة الإسلامية في المدينه المنورة.

(٢٠) النجيبي: القاسم بن يوسف: مستفاد الرحلة و الاغتراب ص٢٠، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الناشر الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس.

(٢١) علي صافي حسين: "ديوان ابن دقيق العيد" ص٧٥ .

(٢٢) احمد احمد بدوي: "مجلة الرسالة" ٩٠٩/١٧

(٢٣) علي صافي حسين: "ديوان ابن دقيق العيد" ص٧٥

(٢٤) احمد احمد بدوي: "مجلة الرسالة "١٧/ ٩٠٩ .

(٢٥) الاسنوي: "طبقات الشافعية "ج٢ ص٢٢٩ .

(٢٦) ابن حجر العسقلاني: " الدرر الكامنة " ج٢ ص٢١٧ .

(٢٧) انظر الطبقات للسبكي ج٦ ص٤، وطبقات الشافعية للاسنوي ج٢ ص٢٢٩

(٢٨) الادفوني: "الطالع السعيد " ص٥٩٦ .

(٢٩) السبكي: " طبقات الشافعية " ج٦،ص٤

(٣٠) راجع تفصيل هذه المواقف من كتاب" ابن دقيق " محمد رامز العزيزي ص ٩٣ - ٩٨ .

(٣١) السبكي: "طبقات الشافعية " ج٦، ص٢-٣ .

(٣٢) الادفوني: " الطالع السعيد " ص٥٩٨ .

(٣٣)، (٣٤)، (٣٥)، (٣٦): شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ص٢١ .

تحقيق محمد عوض هيكل، دار السلام للطباعة و النشر- القاهرة.

(٣٧) سيد يوسف: مقال منشور على الانترنت (www com.gogle.)

(٣٨) العزيزي: ابن دقيق العيد ص ١١٧ .

(٣٩) الادفوني: الطالع السعيد ص٥٩٩ .

# بحث في نظام الزكاة في الإسلام

■ بقلم الدكتور احمد العوضي

**نزلت الآيات المدنية تؤكد فرضية الزكاة فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ البقرة: ١١٠، وكانت سورة التوبة من آخر ما أنزل من القرآن الكريم، وجاءت بعض آياتها متعلقة بتحديد العلاقة الدولية بين الدولة الإسلامية وسائر الجماعات غير الإسلامية والدول غير الإسلامية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾ التوبة: ٥.**

وكان الله قد أمر قبل ذلك الدولة الإسلامية أن تمهل مشركي العرب الذين ليس بينها وبينهم عهد، أربعة أشهر وأن تمهل مشركي العرب الذين بينها وبينهم عهد إلى انتهاء مدة العهد، ثم أوجب عليها قتال من انتهى عهده من النوعين ولم يدخل في الإسلام، وشرط الله تعالى على الدولة الإسلامية ثلاثة شروط للكف عن قتال مشركي العرب هي: التوبة عن الشرك وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فمن اجتمعت فيه هذه الشروط الثلاثة، وجب على الدولة المسلمة الكف عن قتاله لأنه صار مسلما. وتدل هذه الشروط على أن من امتنع من مشركي العرب عن الإيمان أو عن إقام الصلاة، أو عن إيتاء الزكاة ففرض على الدولة المسلمة قتاله حتى يتوب.

ويستنبط من الآية السابقة أن من دخل

في الإسلام، لا يحل له الامتناع عن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإن امتنع عن الصلاة أو عن الزكاة عزر على ترك الصلاة وأخذت الزكاة منه عنوة، وإذا كان الممتنع جماعة متفقة على الاجتماع ولكنها لم تخرج من الإسلام، فهي جماعة مسلمة باغية تقاتل حتى تتوب عما امتنعت عنه، ومثالها مانعو الزكاة في زمن خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

فإن امتنع فرد عن إقام الصلاة أو إيتاء الزكاة امتناع ردة، استتيب فإن تاب وجب على الدولة إطلاق سبيله، فإن أبى التوبة وجب ضرب عنقه، وإن امتنعت جماعة عن إقام الصلاة أو إيتاء الزكاة امتناع ردة، فهي جماعة كفر فتحل دماؤهم وأموالهم وفَرْضٌ على الدولة المسلمة قتالهم حتى يدخلوا في الإسلام من جديد ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة.

وورد ذكر الشروط السابقة نفسها في موضع آخر في سورة التوبة، قال تعالى: **﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾** التوبة: ١١. فوصف من اجتمعت فيه الشروط الثلاثة المذكورة بأنه أخ للمؤمنين **﴿فإخوانكم في الدين﴾**.

ويستنبط من آيتي سورة التوبة السابقتين أنه لا يجوز للدولة المسلمة أن تقبل من فرد ولا من جماعة إقامة الصلاة دون إيتاء الزكاة ولا إيتاء الزكاة دون إقامة الصلاة، ولذلك لما قدم بعض الوفود على الرسول ﷺ وطلبوا منه أن يعفيهم من الصلاة ليدخلوا في الإسلام رفض طلبهم ذلك، وكذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه قاتل من منعوا الزكاة على الرغم من أنهم كانوا مسلمين يقيمون الصلاة.

وفي الحديث: (الصلاة نور والصدقة برهان) ومما تعنيه العبارة أن الصلاة نور لصاحبها ونور على صاحبها، لأنها تكشف للمؤمنين عن حقيقة صاحبها أنه مؤمن، وكذلك إيتاء الزكاة برهان على أن صاحبها مؤمن، وبرهان إيمانه أنه يؤتي الزكاة، ويدل ذلك دلالة مفهوم على أن من ترك إقامة الصلاة أو امتنع عن إيتاء الزكاة فالإيمان عنده معدوم أو ضعيف، فإذا وجد الإيمان في القلب وجد العمل، وعلى قدر قوة الإيمان تكون المحافظة على الأعمال.

ومما ورد في سورة التوبة من النصوص المتعلقة بالزكاة، وهي من آخر سور القرآن نزولا قوله تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل**

**عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾** التوبة: ١٠٣. معنى **﴿وصل عليهم﴾**: ادع لهم.

وكلمة **﴿خذ﴾** في الآية خطاب للنبي ﷺ بوصفه رئيس الدولة وليس بوصفه نبيا، فيكون الخطاب موجها لكل خليفة بعده ﷺ، فالخطاب موجه للدولة وهي شخصية اعتبارية ينوب عنها في التنفيذ رئيسها، وهو رسول الله ﷺ وخلفاؤه من بعده، ففرض على الدولة الإسلامية ممثلة بالخليفة أن تأخذ الزكاة ممن تجب عليهم، يدل على ذلك أن أبا بكر قاتل مانعي الزكاة حتى أخذها منهم عنوة فتابوا بعد ذلك عن منعها.

وحرف الجر **﴿من﴾** في الآية للتبعيض، أي خذ جزءا من أموالهم ويدل التبعيض دلالة مفهوم على عدم جواز أخذ جميع المال، وهذا الجزء الذي يجب أخذه زكاة من مال المسلم ورد مجملا في هذه الآية، وقد بينته نصوص السنة النبوية فبينت كم النسبة التي تجب في كل نوع من الأموال، وهي في النقد ربع العشر، وفي المعادن والركاز الخمس، وفي الزروع والثمار المسقية من مؤنة العشر وفي المسقية بمؤنة نصف العشر، وهي في النقود أي الذهب والفضة ربع العشر.

وضمير الجمع في قوله: **﴿من أموالهم﴾** يدل على فرض الزكاة على كل مسلم. ومن ذهب إلى أن ضمير الجمع هنا يراد به النفر الثلاثة، الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ثم تابوا فتاب الله عليهم، وأن الصدقة في هذه الآية يقصد بها صدقة أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يأخذها منهم تكفيرا لذنبهم، واستدل هؤلاء لرأيهم بأن سياق الآية ورد في هؤلاء النفر، وقالوا: إن قاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) لا تنطبق على هذه الآية، فالمأمور به هو صدقة التطوع وليس الزكاة المفروضة، والمأمور بأخذ الصدقة المذكورة هنا منهم هم هؤلاء النفر وليس جميع المسلمين.

والجواب: إن مانعي الزكاة لما استدلوا بهذه الآية على منعهم الزكاة، لم يرد عليهم أبو بكر والصحابة بأن هذه الآية خاصة بالنفر الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فدل ذلك على أن المقصود بالصدقة في هذه الآية، هي الزكاة المفروضة وليس صدقة التطوع ولا صدقة أخذت من أولئك النفر للتكفير عن ذنبهم.

ومما يدل على ذلك أيضا ما رواه عبد

الله بن أبي أوفى: (أن رسول الله ﷺ كان إذا أتي بصدقة قوم صلى عليهم فأتاه أبي بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى) أخرجه مسلم، فالحديث يفسر الآية ويمثل التطبيق العملي لها، فيدل ذلك على أن الصدقة المذكورة فيها هي الزكاة المفروضة.

### ❖ زمن فرض الزكاة المفصلة:

عن قيس بن سعد بن عبادة قال: (أمرنا رسول الله ﷺ بصدقة الفطر قبل أن تَنزِل الزكاة ثم نزلت فريضة الزكاة) أخرجه أحمد وابن خزيمة والنسائي وابن ماجة، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: إسناده صحيح. هذا الحديث يدل على أن صدقة الفطر وصوم رمضان فرضا قبل أن تفرض الزكاة. وصوم رمضان فرض بالإجماع بعد الهجرة لأن آية الصيام مدنية، وصيام رمضان فرض في السنة الثانية.

وعن أنس في قصة إسلام ضمام بن ثعلبة، فقال ضمام لرسول الله ﷺ: (أنشدك الله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ قال: نعم) أخرجه البخاري ومسلم، وقدوم ضمام وإسلامه كان في السنة الخامسة، فيدل ذلك على أن الزكاة فرضت قبل السنة الخامسة.

فيكون فرض الزكاة قد شرع بعد السنة الثانية للهجرة وقبل السنة الخامسة للهجرة.

ويؤخذ من استقراء تاريخ تشريع الصلاة والصيام والزكاة والحج، أن أول ما فرض الصلاة وكان ذلك في العهد المكي، ثم الصيام في العهد المدني في السنة الثانية، ثم الزكاة فيما بين السنة الثانية والسنة الخامسة، ثم الحج.

### ❖ مكانة الزكاة بين فرائض الإسلام:

الزكاة في الإسلام هي أخت الصلاة، وقد ذكرت الزكاة (معرفة) في القرآن الكريم ثلاثين مرة، ذكرت في سبع وعشرين مرة منها مقترنة بالصلاة في آية واحدة، وذكرت في موضع واحد منها مقترنة بالصلاة في سياق واحد ولكن كل واحدة منهما في آية، وهو قوله تعالى: **﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون❖ والذين هم عن اللغو معرضون ❖ والذين هم للزكاة فاعلون﴾** المؤمنون: ٢-٤.

والزكاة ركن من أركان الإسلام، من لم يؤمن بها لم يدخل في الإسلام، وأركان الإسلام خمسة: بينها رسول الله ﷺ

بقوله: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا) متفق عليه. ويدل على أن كل واحد من هذه الخمسة ركن من الإسلام يعني جزء من حقيقته حديث جبريل عليه السلام عندما سأل رسول الله ﷺ: (ما الإسلام؟ فأجابه رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا) متفق عليه.

يستنبط من هذين الحديثين، أن من فرط في واحد من هذه الخمسة، فقد فرط في ركن من أركان الإسلام، فمن فرط بواحدة منها لعدم إيمانه به فإنه يكفر ويخرج من ملة الإسلام فورا، ولكن يجب على الدولة أن تستتيبه في جلسة قضائية، بعد أن تكرر مجادلته وتتحقق من أسباب ردته وترد جميع شبهاته، من قبل أشخاص ذوي فكر وعلم وحجة وسرعة بديهة، واحد أو أكثر حتى تقام عليه الحجة التي لا لبس فيها كقيام الشمس في وسط السماء الصافية وقت الظهيرة.

فإن تاب وجب إخلاء سبيله، وإن أبى التوبة وجب الحكم بقطع عنقه ووجب تنفيذه على الفور، وإن كان التفريط تفريطا عمليا في واحد من الأركان الأربعة العملية وليس ناشئا عن عدم إيمان وإنما نشأ عن ضعف في الإيمان فيصير بذلك عاصيا ومرتكبا لذنب عظيم وكبيرة من الموبقات، ويجب على دولة الإسلام معاقبته بالعقوبة الشرعية.

ومن منع الزكاة لا عن عدم الإيمان، يجب على دولة الإسلام أن تأخذها منه عنوة، كل ذلك لأن الدولة في الإسلام مأمورة بتطبيق نظام الإسلام، فإن الغاية الشرعية من فرض إقامة دولة الإسلام هي حفظ الدين بتطبيق نظامه وحفظ الإيمان وحمل نظام الإسلام وفرضه على الناس جميعاً، وحمل الإيمان وعرضه على الناس جميعا دون فرضه.

وليس من أحكام الشريعة الإسلامية إكراه غير مسلم على الإيمان، إلا مشركو العرب في زمن النبوة، قال رسول الله ﷺ: (أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)، وكلمة الناس هنا

لفظ عام ولكنه عام أريد به الخصوص وهم العرب دون من سواهم من الناس، فلم يقبل من مشركي العرب في زمن النبوة إلا الدخول في الإسلام أو القتل.

وهذا الحكم الذي جاء في حق مشركي العرب في زمن النبوة بخصوصهم، فيه في الظاهر قسوة عليهم، ولكن الله حكيم عليم، فلا يفعل إلا لحكمة، فمشركو العرب في زمن النبوة ليسوا على دين ينسب إلى الله ولا أتباع نبي ينسب إلى الله ولا أهل كتاب ينسب الى الله، ولكنهم أهل لسان هيأه الله ليُنزل به كتابه وأهل خصائص هيأها الله فيهم ليبعث منهم رسوله وليحملوا دينه إلى العالمين. فجاء الحكم قاسيا عليهم في الظاهر ولكنه في الحقيقة على قدر فضلهم على الناس، فهو حكم إكرام وليس حكم غضب وإهانة، وقد ظهرت نتائج ذلك الحكم بعد ذلك فإن العرب قد حسن إسلامهم ورسخ الإيمان في قلوبهم ففهموا الدين وانطلقوا به فاتحين، فأعزهم الله بدينه وأعز دينه بهم، قال تعالى: **﴿والله عليم حكيم﴾** وقال تعالى: **﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾** فاختار لرسالته محمدا ﷺ واختار أن يكون محمد ﷺ من العرب، وأن يكون القرآن بلسان العرب، وهو إكرام ليس فوقه إكرام.

### ❖ حكم الكافر بفرضية الزكاة:

إن كل ما ثبت بدليل قطعي الثبوت والدلالة، فالإيمان به فرض، ولا يصح إيمان الشخص متى علمه حتى يؤمن به، فإن لم يؤمن به بعد العلم بوجوب الإيمان به بطل إيمانه كله، لأن الإيمان كل لا يتجزأ.

وفرضية الزكاة ثابتة بأدلة قطعية الثبوت والدلالة، فالإيمان بفرضيته فرض، فمن لم يؤمن بفرضيتها بعد علمه بذلك يبطل إيمانه كله، ويخرج من ملة الإسلام.

ومن الأدلة على ذلك: قوله تعالى: **﴿.. ويل للمشركين ❖ الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون﴾** فصلت: ٦-٧، وصف الله تعالى للمشركين بأنهم لا يؤتون الزكاة ويكفرون بالآخرة، يدل على أن من لم يؤمن بالزكاة كمن لا يؤمن بالآخرة.

قال تعالى: **﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾** التوبة: ١١. اشترط الله تعالى لدخول المشركين في أخوة الإيمان أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، والمقصود إقام الصلاة المبني على الإيمان بفرضيتها، وإيتاء الزكاة المبني على الإيمان بفرضيتها، فمن لم يؤمن بفرضية الصلاة فهو كافر، ومن لم يؤمن بفرضية الزكاة فهو كافر.

# رمضان كله خير

■ بقلم الدكتور حكمت فريحات

**لقد فضل الله تعالى الناس بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم﴾ الأنعام: ١٦٥، وفضل بعض الرسل على بعض، قال تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾ البقرة: ٢٥٣، وكان رسول الله محمد ﷺ المصطفى من بين الرسل والبشر أجمعين، وفضل بعض الأماكن على بعض، فقد جعل مكة المكرمة أفضل البلدان، والكعبة المشرفة أفضل البيوت فجعل الحج اليها فرضا واجبا على جميع الناس، فقال تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا﴾ آل عمران: ٩٧ .**

وأقسم الله تعالى بمكة المكرمة، والله لا يقسم إلا بعظيم، قال تعالى: **﴿والتين والزيتون ❖ وطور سينين ❖ وهذا البلد الأمين﴾** التين: ١ - ٣، وفضل بعض الأمم على بعض، فقد جعل أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾** آل عمران: ١١٠، وفضل بعض الأيام على بعض، فجعل يوم الجمعة أفضل الأيام وأمر المسلمين جميعا أن يتركوا أعمالهم ليسعوا الى أداء صلاة الجمعة، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾** الجمعة: ٩، وجعل فيها ساعة يستجاب فيها الدعاء.

وفضل تعالى بعض الليالي على بعض فجعل ليلة القدر أفضل الليالي وجعلها تساوي في فضلها وخيرها ألف شهر أي ثلاثين ألف ليلة، وفضل بعض الشهور على بعض فخص شهر رمضان بالبركة والخير وفضله على سائر الشهور وجعله شهر العبادة بأنواعها وشهر القرآن وشهر الجهاد وشهر الصدقة والإحسان، وشهر الفتوحات والإنتصارات قال تعالى: ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه**﴾ البقرة: ١٨٥ .

فالله تعالى لم يذكر في كتابه العزيز اسم أي شهر سوى شهر رمضان وربطه بالقرآن نزولا وتلاوة وسلوكا، تماما كما أنه لم يذكر في كتابه العزيز أي مسجد سوى المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وربط بينهما في المباركة والقدسية فجعلهما مكان انطلاق رحلة الإسراء ووجهتها ومكان انطلاق رحلة المعراج والعودة منها، قال تعالى: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**﴾ الأسراء: ١ .

ولم يذكر سبحانه اسم ليلة سوى ليلة القدر، مؤكدا على أنها أفضل من ألف شهر، ونركز هنا على أن الله تعالى عندما ذكر شهر رمضان في محكم التنزيل، فإنما ذكره بصيغة التعظيم والتبجيل والتكريم، ليظهره على سائر الشهور والسنين، ولعل أول إشارة ربانية الى عظمة شهر رمضان، أنه جعله شهر الصيام، وما يرتبط به من قيام وزكاة وصدقة وإحسان، وبذلك جعله شهر التقوى فقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾ البقرة: ١٨٣، فجعل الحكمة من الصيام في هذا الشهر الكريم التقوى، والتقوى تجعل الإنسان المتقي يفوز بالمعية الإلهية، ومن فاز بالمعية الإلهية فاز بالجهة المنتصرة، التي لا تغلب وهي الله سبحانه وتعالى.

وكذلك فإن الصيام الذي فرضه الله سبحانه وتعالى على المسلمين في شهر رمضان جعله جنة ووقاية من العذاب ومن نار جهنم وقد جعل الله تعالى الصيام فريضة ثابتة باقية في قرآنه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهي أبدية أبدية الحياة، لا تزول مع تقلب الليالي والأيام ولا تنتهي مع مرور الدهور والأزمان.

وتظهر عظمة هذه الفريضة وعظمة

الشهر الذي فرضت فيه عندما ننظر إلى شهر رمضان لا يأتي في وقت ثابت معين من أيام السنة في نفس الظروف الجوية من اعتدال الطقس، أو قصر النهار، وإنما هو يدور على أيام السنة كلها في مختلف الأحوال الجوية وطول النهار وقصره، فهو يصادف في بعض السنوات أياما تتصف بالحر الشديد وبأشعة الشمس اللهيبة، وبطول النهار وساعات الصوم التي قد تصل في بعض السنوات الى ١٦ ساعة في درجة حرارة تراوح الأربعين درجة مئوية وتزيد في بعض الأقطار الإسلامية، ومع ذلك نجد أن المسلمين حتى الأطفال يؤدون فريضة الصوم امتثالا لأمر الله تعالى وطاعة له طلبا لرضاه وأملا في الثواب العظيم الواسع الذي أعده للصائمين، لما للصوم من خصوصية السرية والداخلية التي لا توجد في أية عبادة غير الصوم.

**فيمكن للمسلم أن يتظاهر بأداء العبادات كالصلاة والحج والزكاة، فيؤديها ليقال عنه: إنه مصلي أو حاج أو متصدق، أما الصوم فلا يستطيع التظاهر به لأنه بينه وبين ربه.**

ونظرا لهذه الداخلية والباطنية للصوم والتي لا يطلع أحد عليها غير المطلع على ما في القلوب وما تخفي الصدور وهو الله تعالى، فقد رتب عليه ثوابا عظيما، فقال جل وعلا في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وانا اجزي به والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه» رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ.

وفي رواية: «كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي».

بل إن الله تعالى أكرم الصائمين أيما تكريم ورفع منزلتهم في عليين وميزهم على غيرهم من الخلق أجمعين، حيث أفرد لهم بابا خاصا بهم يدخلون منه الى الجنة لا يدخل منه أحد غير الصائمين، فعن سهل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بابا يقال له: الريان لا يدخله إلا الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون فيدخلون

منه، فإذا دخل آخرهم غلق فلم يدخل منه أحد» رواه الشيخان والنسائي.

**❖ رمضان كله خير:**

رمضان شهر اصطفاه الله تعالى بالذكر الذي لا يزول والمنحة التي لا تبيد وجعله خيرا وبركة للمسلمين فأوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، يضاعف الله فيه الأجور للصائمين ويرفع الدرجات، خصه الله تعالى بليلة عظيمة مباركة أنزل الله تعالى فيها سورة كاملة في قرآنه الكريم وهي ليلة القدر، جعل صيامها وقيامها يعدل أكثر من صيام وقيام ألف شهر وجعلها ليلة رحمة وسلام على المسلمين، والدعاء فيها مستجاب، يخصها المسلمون بالتقدير والتقديس فيحيونها في كل عام بالصلاة والقيام حتى مطلع الفجر ويتحرونها في العشر الأواخر من رمضان فقال تعالى: **﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر ❖ وما أدراك ما ليلة القدر ❖ ليلة القدر خير من ألف شهر ❖ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ❖ سلام هي حتى مطلع الفجر﴾** القدر.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا (بمعنى طاعة لله وطلبا لوجهه الكريم وثوابه العظيم) غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه الشيخان وأبو داود والنسائي.

ومن دلائل الخير لشهر رمضان أن من تقرب فيه بخصلة من الخير كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فريضة فيه، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وأن من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير ان ينقص من أجره شيء.

وتظهر عظمة هذا الشهر على المسلمين أن بعض الصحابة قالوا: يا رسول الله ما كلنا يجد ما يفطر الصائم أي لا يقدر ولا يجد ما يفطر الصائم من قلة المال عندهم، فأوضح لهم رسول الله ﷺ أن إفطار الصائم لا يستوجب عشاءه وتقديم مختلف أنواع الطعام له، بل جعله في أقل ما يمكن، وفيما لا يصعب على أحد أن يجده، فقال لهم ﷺ: يعطي الله تعالى هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو على شربة ماء أو على مذقة لبن، وأكد ﷺ على عظمة أمر تفطير الصائم وعظمة أجره وثوابه فقال لهم: «من سقى صائما سقاه

الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة» رواه أبو خزيمه في صحيحه ثم قال: صح الخبر.

وفي هذا حض للمسلمين لإطعام الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، والتصدق عليهم بما تيسر لهم مهما كان ذلك قليلا، فالعبرة في التصدق والإحسان وليس في كمية الصدقة والإطعام، ومن الخيرات والنعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده في هذا الشهر المبارك العظيم، أنه يفتح فيه أبواب الجنة لاستقبال الوافدين المستحقين لرحمة الله تعالى ورضوانه ويغلق أبواب النار أمام الصائمين لأن الصوم جعله الله تعالى جنة ووقاية وسدا منيعا لهم من النار، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين» فهل هناك أعظم من هذه النعم التي أنعمها الله تعالى على الصائمين من عباده؟ وهل هناك أعظم من رحمة الله تعالى في عباده في شهر رمضان المبارك؟ وهل هناك أيسر من هذه الأفعال التي أوجب الله تعالى بها الجنة لعباده؟ وهل هناك عتاب وتذمر ممن لم يستطع أن يدخل الجنة من أبوابها المفتوحة ويقحم نفسه من أبواب جهنم المغلقة؟ وأن يجنب نفسه ارتكاب الآثام والمعاصي، والإفلات من قبضة الشياطين وتأثيرهم ومحاولاتهم تضليله وإغواءه وقد ربطوا بالسلاسل وصفدت أيديهم وأرجلهم حتى لا يتمكنوا من إغواء المسلمين وتضليلهم؟

ويقول التوربشتي رحمه الله: الفتح كناية عن تنزيل الرحمة وإزالة الغلق عن مصاعد أعمال العباد، والغلق كناية عن تنزه أنفس الصوام عن رجس الفواحش والتملص من البواعث على المعاصي بقمع الشهوات ويقول الطيبي رحمه الله: صفدت الشياطين أو سلسلت قيدت بالسلاسل حقيقة فلا يصلون الى إفساد المسلمين وإغوائهم الى ما يصلون اليه في غير رمضان، والملاحظ للعيان أن وقوع المسلمين في المعاصي والشرور في رمضان أقل من غيره بكثير وأن ما يقع منهم من شرور ومعاصي في هذا الشهر المبارك لا يكون كله من الشياطين، لأن لذلك أسبابا غير الشياطين كالنفوس الخبيثة التي توسوس لصاحبها باقتراف المنكرات.

وهناك العادات القبيحة التي اعتادها بعض المسلمين في حياتهم وأصبحت خاصية من خصائص سلوكهم وحياتهم،

وهناك الشياطين من الإنس الذين يفوقون في قوة تأثيرهم على الشخص قوة تأثير شياطين الجن، والذين أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يستعيذ منهم وأن يقتدي المسلمون بنبيهم في الإستعاذة منهم، قال تعالى: **﴿قل أعوذ برب الناس ❖ ملك الناس ❖ إله الناس ❖ من شر الوسواس الخناس ❖ الذي يوسوس في صدور الناس ❖ من الجنة والناس﴾**.. فالوسواس من الشيطان والشيطان من الجن والإنس.

إن فضائل شهر رمضان كثيرة وعظيمة يصعب حصرها وعددها، وأن ما ذكرنا منها ما هو إلا غيض من فيض ويكفي أن نذكر هذا الحديث عن رسول الله ﷺ لنأخذ منه صورة ناصعة وحقيقة واقعة عن عظمة هذا الشهر وعظمة خيره وتنوعه وفيض نعمه والذي رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي، أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله اليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا، وأما الثانية فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة، وأما الرابعة فإن الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها: استعدي وتزيني لعبادي أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا الى داري وكرامتي، وأما الخامسة فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا، فقال رجل من القوم: أهي ليلة القدر؟ فقال: لا، ألم تر الى العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم» رواه البيهقي بإسناد مقارب.

والحديث عن شهر رمضان وشمائله وما أحاط الله به من التكريم والتعظيم طويل ولا يمكن أن نحصره في بضع صفحات، فما لم أذكره من الفضائل فليس من باب التقصير أو النسيان، بل لأن المجال لا يتسع لذلك.

وأختم حديثي هذا بقول رسولنا وحبيبنا ومعلمنا ورائدنا وشفيعنا محمد ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان" وأن للصائم دعوة عند فطره لا ترد.

# كيف نستقبل رمضان

■ بقلم الاستاذ زياد الصلاحات

**ما أشبه الليلة بالبارحة هذه الأيام تمر بسرعة وكأنها لحظات، لقد استقبلنا رمضان ثم ودعناه، وما هي إلا فترة من الزمن وإذا نحن نستقبل رمضان مرة أخرى.**

**ولو نظرنا حولنا لوجدنا أن بعضاً ممن أدرك رمضان الماضي، أصبح من أهل القبور وربما البعض منا في هذا العام ممن يقدر الله له أن يصوم رمضان كاملاً، فيقدر الله ألا يكون من أهل الدنيا بعده فيكون آخر رمضان يصومه ويقومه، ولو استشعر كل منا هذا الأمر واستعد للموت بعد رمضان أو في أثنائه، وصام رمضان إيماناً واحتساباً وقامه أيضاً إيماناً واحتساباً لنال السعادة والفوز بالجنة، فرغم أنف ثم رغم أنف من أدرك رمضان ولم يغفر له.**

إن الاستعداد في رمضان يكون بمحاسبة النفس على تقصيرها سواء بالتقصير في تحقيق الشهادتين أو التقصير في الواجبات أو التقصير في عدم ترك ما نقع فيه من الشهوات أو الشبهات .. فيقوم العبد سلوكه ليكون في رمضان على درجة عالية من الإيمان.. فالإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فأول طاعة يحققها العبد هي تحقيق العبودية لله وحده وينعقد في نفسه ألا معبود بحق إلا الله فيصرف جميع أنواع العبادة لله لا يشرك معه أحداً

في عبادته، ولا يرائى بعبادته، ومنها العبادات القلبية من خشية ورهبة وخوف ورجاء وتوكل وإنابة وإخبات ورغبة واستعانة واستغاثة وأيضاً وكل أنواع العبادة الظاهرة، ويستيقن كل منا أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا وأن كل شيء بقدر.

ونمتنع عن كل ما يناقض تحقيق الشهادتين وذلك بالابتعاد عن البدع والإحداث في الدين. وبتحقيق الولاء والبراء، بأن نوالي المؤمنين ونعادي الكافرين والمنافقين، ونفرح بانتصار المسلمين على أعدائهم، ونقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ونستن بسنته ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، ونحبها ونحب من يتمسك بها ويدافع عنها في أي أرض وبأي لون وجنسية كان.

بعد ذلك أيها الإخوة القرّاء نحاسب أنفسنا على التقصير في فعل الطاعات كالتقصير في أداء الصلوات جماعة وذكر الله عز وجل وأداء الحقوق للجار وللأرحام وللمسلمين وإفشاء السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق، والصبر على ذلك، وبالصبر عن فعل المنكرات، أو بالصبر على فعل الطاعات، أو بالصبر على أقدار الله عز وجل.

ثم تكون المحاسبة على فعل المعاصي واتباع الشهوات بمنع أنفسنا من الاستمرار عليها، أي معصية كانت صغيرة أو كبيرة، سواء كانت معصية بالعين، بالنظر إلى ما حرم الله أو بالسماع للمعازف أو بالمشي فيما لا يرضي الله عز وجل، أو بالبطش باليدين في ما لا يرضي الله، أو بأكل ما حرم الله من الربا أو الرشوة أو غير ذلك مما يدخل في أكل أموال الناس بالباطل.

ويكون نصب أعيننا أن الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وقد قال سبحانه وتعالى: **﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ❖ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله**

**فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ❖ أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾.**

وقال تعالى: **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾** وقال تعالى: **﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾.**

بهذه المحاسبة وبالتوبة والاستغفار يجب علينا أن نستقبل رمضان، فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

حقاً إن شهر رمضان شهر مغنم وأرباح والتاجر الحاذق يغتنم المواسم ليزيد من أرباحه فليغنم المسلم هذا الشهر بالعبادة وكثرة الصلاة وقراءة القرآن والعفو عن الناس والإحسان للغير والتصدق على الفقراء.

ففي شهر رمضان تفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتصفد فيه الشياطين وينادي منادٍ كل ليلة: يا باغي الخير أقبل هلم، ويا باغي، الشر أقصر.

فكونوا أيها السادة القرّاء من أهل الخير متبعين في ذلك سلفكم الصالح مهتدين بسنة نبيكم ﷺ حتى نخرج من رمضان بذنب مغفور وعمل صالح مقبول، وأخلصوا النية لله في صيامكم وقيامكم، وبيتوا النية بالصيام، ويصح أن تنووا صيام الشهر كله إذا لم تخرموه بإفطار بعذر. لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» ولقوله ﷺ: «من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له» فمن أفطر بعذر لسفر أو لمرض أو لغيره فعليه تجديد النية.

وعلى المسلم أن يتحلى بالصبر حتى وإن سابه أحد أو شاتمه كما جاء في الحديث الصحيح: «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم».

ومن سنة النبي ﷺ تأخير السحور وتعجيل الإفطار، ويكون تأخير السحور

إلى ما قبل الفجر بما يقدر بقراءة خمسين آية، وعلى المسلم أن يتسحر ولو بقليل من الماء، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تسحروا فإن في السحور بركة».

وإذا أصبح الصائم وهو جنب من الليل فليغتسل ولا شيء عليه، وكذلك من أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه، كما قال النبي ﷺ، والمسافر مخير بين الصوم والإفطار أثناء سفره كما جاء في صحيح مسلم عن حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أجد بي قوة على الصيام في السفر فهل علي جناح؟ فقال رسول الله ﷺ: «هي رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه». هذا في السفر المباح أما من سافر بقصد الإفطار أو سافر في معصية فأفطر فهو آثم وعليه وزر وعليه القضاء مع التوبة والاستغفار.

وقد شرع في رمضان الاعتكاف في العشر الأواخر منه استعداداً وتحرياً لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وهي الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم أسأل الله العلي العظيم أن يجعلنا ممن يحظون بالقيام والدعاء والاستغفار في ليلة القدر إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كما أنه يشرع قيام رمضان وأن من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة.. فلله الحمد والمنة، يقوم المصلي ساعة من الليل مع الإمام فكأنما قام الليل كله.

ولا ننسى الاهتمام بالفرائض أولاً والمواظبة عليها في المساجد جماعة، فالله عز وجل يحب التقرب إليه بالفرائض .فلا ننسى الأصل والفرض ونهتم بالنوافل والمستحب.

وصلاة القيام ليس لها أذان ولا إقامة، وقد سئلت أمنا عائشة رضي الله عنها عن صلاة النبي ﷺ في رمضان فقالت: لم يزد رسول الله ﷺ في رمضان ولا غيره عن إحدى عشرة ركعة.

والنبي ﷺ قال: «صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشيت الصبح فأوتر بواحدة» إذاً الأفضل أن تكون صلاة الليل إحدى عشرة ركعة بقراءة مرتلة وخشوع واطمئنان في جميع الأركان ومن زاد على إحدى عشرة ركعة فلا بأس لقول النبي ﷺ:

«صلاة الليل مثنى مثنى»، سواء صلى المصلي ثلاثاً وعشرين أو ثلاثاً وثلاثين أو غير ذلك المهم أن تكون الصلاة بقراءة مرتلة وخشوع واطمئنان وسواء صلاها المسلم مع الإمام في المساجد أو صلاها منفرداً في بيته.

أما دعاء القنوت في الوتر فلم يثبت فعله عن النبي ﷺ لا في رمضان ولا في غيره، لا منفرداً ولا في جماعة حيث قد صلى النبي ﷺ بالصحابة في رمضان في عدة رمضانات وفي ليالي متفرقة من كل رمضان صلى النبي ﷺ بالصحابة ولم ينقل عنه أنه قنت في الوتر، ولذلك أخذ المالكية بهذا الأمر فهم لا يقنتون لا في رمضان ولا في غيره وأهل بلاد المغرب يتمسكون بعدم القنوت طوال العام.

ولكن حيث ثبت أن الصحابة قد قنتوا في النصف الأخير من رمضان في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلذلك رأى بعض أهل العلم أن القنوت في الوتر لا يشرع طوال العام إلا في النصف الأخير من رمضان، وبهذا أخذ الشافعية فهم لا يقنتون في الوتر طوال العام إلا في النصف الأخير من رمضان ودليلهم قوي لإجماع الصحابة رضي الله عنهم على ذلك.

وأما من يقنت في الوتر طوال العام بحجة الحديث الذي يروى عن تعليم النبي ﷺ للحسن رضي الله عنه دعاء القنوت المشهور، فقد قال بعض أهل العلم: لا بأس بذلك. إذاً فمن قنت أو ترك. أو اقتصر على النصف الأخير من رمضان فلا بأس. ولا ينكر على أحد منهم، فالأمر واسع والحمد لله.

ولكن الأرجح هو أن يكون دعاء القنوت في النصف الأخير من رمضان، والدعاء في القنوت ينبغي أن يكون موافقاً لما ثبت عن إجماع الصحابة، مع البعد عن التعدي في الأقوال والبعد عن الإطالة والتنغيم تشبهاً بقراءة القرآن والأولى إخشاع القلوب بالقرآن وبحسن التلاوة مع تطبيق السنن في الصلاة من خشوع وطمأنينة، وقراءة دعاء الاستفتاح الذي يتهاون به كثير من أئمة التراويح هذه الأيام، نسأل الله لنا ولهم الهداية والإخلاص في القول والعمل إنه سميع مجيب.

# فضائل شهر رمضان

■ بقلم الاستاذ أحمد فريد

**قال الله عز وجل: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾ البقرة: ١٨٥ .**

يا من طالت غيبته عنا قد قربت أيام المصالحة.

يا من دامت خسارته، قد أقبلت أيام التجارة الرابحة.

من لم يربح في هذا الشهر، ففي أي وقت يربح.

من لم يقرب فيه من مولاه فهو على بعده لا يبرح.

لقد هبت على القلوب نفحة من نفحات نسيم القرب، سعى سمسار المواعظ للمهجورين في الصلح، وصلت البشارة للمنقطعين بالوصل، وللمذنبين بالعفو، والمستوجبين النار بالعتق.

لما سلسل الشيطان في شهر رمضان، وخمدت نيران الشهوات بالصيام، انعزل سلطان الهوى، وصارت الدولة لحاكم العقل بالعدل ،فلم يبق للعاصي عذر، يا غيوم الغفلة عن القلوب تقشعي، يا شموس التقوى والإيمان اطلعي، يا صحائف أعمال الصائمين ارتفعي، يا قلوب الصائمين اخشعي، يا أقدام المتهجدين اسجدي لربك

واركعي، ويا عيون المجتهدين لا تهجعي، يا ذنوب التائبين لا ترجعي، يا أرض الهوى ابلعي ماءك ويا سماء النفوس اقلعي، يا خواطر العارفين ارتعي، يا همم المحبين بغير الله لا تقنعي، قد مدت في هذه الأيام، موائد الإنعام للصوام، فما منكم إلا من دعى: ﴿**يا قومنا أجيبوا داعي الله**﴾ الأحقاف: ٣١ .

فطوبى لمن أجاب فأصاب، وويل لمن طرد عن الباب وما دعى.

قال المعلّى بن الفضل: كان السلف يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم.

وقال يحيى بن أبي كثير: كان من دعائهم اللهم سلمني إلى رمضان، وتسلمه مني متقبلا، وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: «إذا جاء رمضان فتّحت أبواب الجنة».

وله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»، وفي رواية عند مسلم «فتحت أبواب الرحمة».

قال عياض: يحتمل أنه على ظاهره، وحقيقته أن ذلك كله علامة للملائكة لدخول الشهر، وتعظيم حرمته، ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين، ويحتمل أن يكون إشارة إلى كثرة الثواب، وأن الشياطين يقل إغواؤهم فيصيرون كالمصفدين.

قال: ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة وغلق أبواب النار عبارة عن صرف الهمم عن المعاصي الآيلة بأصحابها إلى النار، وتصفيد الشياطين عبارة عن إعجازهم عن الإغواء وتزيين الشهوات.

وهذا الشهر الكريم مدرسة ربانية رحمانية تفتح أبوابها كل سنة شهرا كاملا يتدرب فيه العباد على طاعة الله عز وجل والإمساك عن معاصيه، فهو شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن والصدقة والعمرة وسائر الطاعات.

روى البخاري وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح

بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه».

والصيام في اللغة هو الإمساك، وفي الشرع إمساك مخصوص في زمن مخصوص بشرائط مخصوصة، فهو إمساك المكلف بالنية عن الطعام والشراب والشهوة من الفجر إلى المغرب.

**وفي التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد:**

منها كسر النفس، فإن الشبع والري ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة.

ومنها تخلي القلب للفكر والذكر، فإن تناول هذه الشهوات قد يقسي القلب ويعميه، وخلو البطن من الطعام والشراب، ينور القلب ويوجب رقته ويزيل قسوته ويخليه للفكر والذكر.

ومنها أن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه بامتناعه عن هذه الشهوات في وقت مخصوص، وحصول المشقة له بذلك بتذكر من منع من ذلك على الإطلاق فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك.

ومنها أن الصيام يضيق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فتسكن بالصيام وساوس الشيطان وتنكسر سورة الشهوة والغضب، ولهذا جعل النبي الصوم وجاءً؛ لقطعه عن شهوة النكاح.

ولا يتم التقرب إلى الله تعالى بترك الشهوات المباحة في غير حالة الصيام، إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرم الله في كل حال، من الكذب والظلم والاعتداء على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ولهذا قال النبي ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه».

قال بعض السلف: أهون الصيام ترك الشراب والطعام، وقال جابر: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك سكينة ووقار يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء، وكان السلف إذا صاموا جلسوا في المساجد وقالوا: نحفظ صومنا ولا نغتاب أحدا.

والصائمون على طبقتين: أحدهما من ترك طعامه وشرابه وشهوته لله تعالى يرجو عنده عوض ذلك في الجنة، فهذا قد

تاجر مع الله وعامله والله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يخيب معه من عامله بل يربح عليه أعظم الربح، فهذا الصائم يعطى في الجنة ما شاء الله من طعام وشراب ونساء، قال الله تعالى: ﴿**كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية**﴾ الحاقة: ٢٤ . قال مجاهد وغيره: نزلت في الصائمين.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بابا يقال له: الريان يدخل منه الصائمون لا يدخل منه غيرهم»، وفي رواية: «فإذا دخلوا أغلق» وفي رواية: «من دخل شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا».

والطبقة الثانية من الصائمين من يصوم في الدنيا عما سوى الله، فيحفظ الرأس وما حوى، ويحفظ البطن وما وعى، ويذكر الموت والبلى ويريد الآخرة فيترك زينة الدنيا، فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه وفرحه برؤيته.

أهل الخصوص من الصوام صومهم

صون اللسان عن البهتان والكذب

والعارفون وأهل الأنس صومهم

صون القلوب عن الأغيار والحجب

العارفون لا يسليهم عن رؤية مولاهم قصر، ولا يرويهم دون مشاهدته نهر هممهم أجلّ من ذلك، ومن صام عن شهواته في الدنيا أدركها غدا في الجنة، ومن صام عما سوى الله فعيده يوم لقائه ﴿**من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت**﴾ العنكبوت: ٥ .

وقوله عز وجل في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به» معناه أن الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد، بل يضاعفه الله عز وجل أضعافا كثيرة، بغير حصر عدد فإن الصيام من الصبر وقد قال الله تعالى: ﴿**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾ الزمر: ١٠ .

وقيل: الحكمة في إضافة الصيام إلى الله عز وجل، أن الصيام هو ترك حظوظ النفوس وشهواتها الأصلية التي جبلت على الميل إليها، من الطعام والشراب والنكاح، ولا يوجد ذلك في غيره من العبادات.

**قال بعض السلف:** طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره، وقيل: لأن الصيام سر بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره، لأنه مركب من نية باطنة لا يطلع

عليها إلا الله، وترك لتناول الشهوات التي يستخفي بتناولها دائما، ولذلك قيل: لا تكتبه الحفظة، والله عز وجل يحب من عباده أن يعاملوه سرا.

وشهر رمضان له خصوصية بالقران كما قال الله تعالى: **﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾** البقرة: ١٨٥ .

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر ويشهد لذلك قوله تعالى: **﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾** القدر: ١ .

كان الزهري إذا دخل رمضان قال: إنما هو تلاوة القرآن، وإطعام الطعام، قال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف.

والشهر مجاهدة بالليل والنهار، فكما أن العبد يجاهد نفسه بالصيام ويلزمها بأخلاق الصائمين، يجاهد نفسه كذلك بالقيام تشبها بالصالحين، قال رسول الله ﷺ: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه».

وكان عمر قد أمر أبي بن كعب وتميما الداري أن يؤما بالناس في شهر رمضان، فكان القارئ يقرأ بالمائتين في ركعة، حتى كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام، وما كانوا ينصرفون إلا قرب الفجر.

والشهر كذلك تدريب على الإنفاق وكثرة الجود، ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة».

فقد كان النبي أجود الناس وكان جوده لله وفي ابتغاء مرضاته، وكان جوده يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور، كما أن جود ربه يتضاعف فيه أيضا، فإن الله جبله على ما يحبه من الأخلاق الكريمة، وكان على ذلك من قبل البعثة.

ثم كان بعد الرسالة جوده في رمضان أضعاف ما كان قبل ذلك، فإنه كان يلتقي هو وجبريل عليه السلام، ويدارسه الكتاب الذي جاء به إليه، وهو أشرف الكتب وأفضلها، وهو يحث على الإحسان ومكارم

الأخلاق، فلهذا كان يتضاعف جوده وإفضاله في هذا الشهر لقرب عهده بمخالطة جبريل عليه السلام وكثرة مدارسته له هذا الكتاب الكريم الذي يحث على المكارم والجود.

**وفي تضاعف جوده في شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة:**

منها: شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه، فإن العمل يشرف ويزداد ثوابه لشرف الزمان، أو المكان، أو لشرف العامل وكثرة تقواه.

ومنها: إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعتهم، فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم، كما أن من جهز غازيا فقد غزا، ومن خلفه في أهله فقد غزا.

ومنها: أن شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار لا سيما في ليلة القدر، والله تعالى يرحم من عباده الرحماء، كما قال ﷺ: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء»، فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه بالعطاء والفضل والجزاء من جنس العمل.

ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبو بكر: أنا، قال: من تبع منكم اليوم الجنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: من تصدق بصدقة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد منكم مريضا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: ما اجتمعت في امرئ إلا دخل الجنة».

ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا، واتقاء جهنم والمباعدة عنها، وقد قال ﷺ: «الصيام جنة» وقال ﷺ: «الصدقة تطفئ الخطيئة»، وقال أبو الدرداء: صلوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور، صوموا يوما شديدا حره لحر يوم النشور، تصدقوا بصدقة لشر يوم عسير.

ومنها: أن الصيام لا بد أن يقع فيه خلل أو نقص، فالصدقة تجبر ما فيه من النقص والخلل، ولهذا وجب في آخر شهر رمضان زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث.

ومنها: ما قاله الشافعي رحمه الله: أَحِبُّ للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان، اقتداء برسول الله ﷺ، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثير منهم بالصوم عن مكاسبهم، اللهم تقبل منا صيامنا وقيامنا.

# خلاصة الأحكام في شرعة الصيام

■ بقلم الاستاذ سميح أحمد عثامنة

**يقول الله جل وعز: ﴿يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾، لا يخفى ان صوم شهر رمضان المبارك، ركن عظيم من أركان هذا الدين، فهو شهر كريم على الله تعالى، إختص صيامه لنفسه دون سائر الأعمال، لأنه نبع فياض يتدفق بأكرم المعاني، ومدرسة راقية لتطهير الروح، وإعلان سلطان الإرادة وهو شهر منابع الخير، وعوارف الفضل، ومرابع النور، ونفحات الرب العظيم جل جلاله.**

وحتى يحظى المسلم ببركات ونفحات هذا الشهر الكريم، وكي يكون صومه كاملاً مقبولاً بإذن الله تعالى، تأتي هذه الرسالة المختصرة، بأسلوب عرضها السهل الميسر، خلاصة لأحكام الصيام الضرورية، ولأهم المسائل المستحدثة فيه، التي يكثر فيها السؤال، مساهمة في بناء الشخصية المثلى، وتبصير المسلمين بأمور دينهم، كي يعبدوا الله تعالى على علم وفهم.

وقد توخيت فيها ارجح الآراء الفقهية، وأكثرها يسراً وقبولاً وشمولاً -في نظري القاصر- مراعاة لمصالح الناس الحقيقية في أمور الدين والدنيا، دون ذكر الأدلة، أو نسبة المذاهب لأصحابها، وما ذلك الا من قبيل الاختصار، وحتى يسهل فهمها وحفظها، والله تعالى وحده من وراء القصد.

### ❖ أركان الصوم:

١- النية بالقلب كل يوم، ويشترط تبييتها

قبل الفجر.

٢- الامساك عن جميع المفطرات، من طلوع الفجر حتى غروب الشمس.

### ❖ شروط وجوب وصحة الصوم:

١- الاسلام.

٢- العقل، فلا يجب على مجنون حتى يعقل.

٣- البلوغ، فلا يجب على صغير حتى يبلغ، لكنه يؤمر به كي تعتاد نفسه عليه.

٤- القدرة على الصوم، فلا يجب على العاجز لكبر أو مرض مزمن.

٥- انقطاع دم الحيض والنفاس، فلا يصح الصوم من الحائض أو النفساء.

### ❖ سنن الصوم:

١- تأخير السحور الى آخر جزء من الليل، ما لم يخش طلوع الفجر.

٢- تعجيل الفطر بعد تحقق غروب الشمس.

٣- الدعاء عند الفطر: **«اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت، ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر ان شاء الله تعالى».**

٤- ان يفطر الصائم على رطب ان تيسر، وإلا فعلى تمر، فإن لم يجد فعلى الماء.

٥- ثم يشرع في أداء صلاة الغرب قبل تناول طعامه.

٦- ان يحفظ صومه بكثرة الطاعات، والإقبال على الله تعالى بالاستغفار، وكثرة الانفاق في وجوه الخير، والدعاء، وتلاوة القرآن الكريم، والاجتهاد في العبادة، سيما العشر الأواخر من هذا الشهر المبارك، وترك المعاصي وتحمل الإساءة من الغير.

### ❖ الأعذار التي توجب الفطر:

١- اذا عطش الصائم عطشاً شديداً، وصل به الى حد الهلاك.

٢- المريض الذي لا يرجى برؤه، ويخشى على نفسه الهلاك.

٣- المضطر المفطر، من اجل انقاذ شخص أوشك على الموت، لغرق أو حريق او نحوه.

٤- الحائض والنفساء.

**ويجب بحق هؤلاء جميعاً القضاء.**

### ❖ الاعذار المبيحة للفطر:

١- المرض الشديد الذي يؤخر الصوم بسببه الشفاء، أو تحصل به المشقة

الشديدة، **عليه القضاء.**

٢- الشيخ الكبير «الهرم» الذي لا يقوى على الصيام، **وعليه الفدية إطعام مسكين عن كل يوم.**

٣- السفر في طاع قبل طلوع الفجر، لمسافة لا تقل عن ستة عشر فرسخاً فأزيد، اي ما يعادل (٩٠) كم، **عليه القضاء.**

٤- الحمل والإرضاع، اذا شق الصوم على الحامل أو المرضع، أو خافتا على ولديهما، **عليهما القضاء.**

٥- الجوع والعطش الشديدان، اللذان يخشى منهما المرض أو الهلاك، **عليه القضاء.**

### ❖ ما يكره في الصوم:

١- تأخير الفطر عن غروب الشمس.

٢- المبالغة في المضمضة أو الاستنشاق.

٣- تذوق الطعام من المرأة أو الطاهي، لغير الضرورة، شريطة ان لايدخل الحلق.

٤- مضغ العلك «اللبان» الأبيض الملتئم والخالي من السكر، والمأمون تحلله او تجزأته أو ابتلاعه، وإلا فهو مفطر.

٥- القُبلة، وان لم تحرك الشهوة، أو مداعبة الزوجة.

٦- تمتع النفس بالشهوات، سواء بالنظر، أو السمع أو الفكر.

### ❖ ما لا يفطر الصائم:

١- اذا تناول الصائم شيئاً من المفطرات ناسياً أو مكرهاً، فإنه لا يفطر.

٢- اذا تمضمض او استنشق دون مبالغة، ودخل الماء حلقه دون قصد.

٣- اذا احتلم الصائم في نومه.

٤- اذا غلبه القيء دون قصد.

٥- بلع الريق او دخول بخار الطبخ، أو غبار الطريق، او دخان المصانع والحرائق للحلق، لتعذر الاحتراز منه.

٦- الأكل أو الشرب بعد الأذان الأول، وهو ما يعرف بالإمساك.

٧- استعمال معجون الاسنان، شريطة ان لا يبقى له أثر في الفم.

٨- وضع القطرة في الأذن، وذلك لأن الأذن ليست منفذاً طبيعياً.

٩- حقن الأبر الطبية، سواء كان في العضل أو الوريد.

١٠- استعمال الاوكسجين الصناعي للمسافر بالطائرة أو المريض.

١١- عمليات المنظار التي يدخل طرفها الى الجوف، ويبقى طرفها الآخر خارجاً.

١٢- الفحص الطبي للمرأة «المعاينة الطبية» بآلة او غيرها، شريطة ان يبقى طرفها خارجاً.

❖ مبطلات الصوم:

١- اذا أكل أو شرب ظاناً بقاء الليل، أو غروب الشمس ثم ظهر له خلاف ذلك، **عليه القضاء.**

٢- الجماع اذا وقع في نهار رمضان، **عليه الكفارة المغلظة، وهي عتق رقبة، فإن لم يستطع، فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فعليه إطعام ستين مسكيناً.**

٣- إنزال المني في اليقظة باستمناء، أو تقبيل، أو شهوة، أو نحو ذلك، **عليه القضاء.**

٤- الأكل أو الشرب، سواء كان مما يتغذى به أم غير ذلك، كالدخان والسعوط ونحوه، **عليه القضاء.**

٥- الجنون أو الاغماء، ان استمر طول النهار، **عليه القضاء.**

٦- حقن الإبر المغذية كالجلوكوز، والتي عادة يستغنى بها عن الطعام، لأنها بمعنى الأكل والشرب، **عليه القضاء.**

٧- استعمال المريض بضيق التنفس «الربو» ما يعرف بالبخاخة، اذا كان ما بداخلها سائلاً وله طعم أو رائحة، لأن السائل يجاوز الحلق، **عليه القضاء.**

٨- وضع القطرة في الفم أو الأنف، لأنها تدخل من منفذ طبيعي، كذلك الكحل والقطرة في العين، ان وجد طعمها في حلقه، **عليه القضاء.**

٩- غسيل الدم لمرضى الكلى، علماً أن هذه الحالة تعتبر من الأمراض المزمنة، والواجب على المبتلى بذلك عدم الصيام، **عليه الفدية.**

١٠- استخدام الحقن الشرجية أو التحاميل، في القبل أو الدبر، **وعليه القضاء.**

١١- وضع الماء أو الدواء ونحوه، اثناء الفحص الداخلي للمرأة «المعاينة الطبية» **عليها القضاء.**

١٢- القيء عمداً، **عليه القضاء.**

١٣- الردة عن الاسلام، ولو كانت بسب الرب أو الدين -والعياذ بالله تعالى- **«ومن فعل ذلك عليه ان يتشهد ويتوب ثم يقضي».**

١٤- خروج دم الحيض أو النفاس، **عليها القضاء.**

❖ **فوائد مهمة:**

١- يجوز للصائم ان يبل بالماء شفتيه اذا جفتا، أو يتمضمض دون مبالغة.

٢- يجوز للصائم استخدام السواك والطيب في اي وقت من النهار.

٣- اصحاب الأعمال الشاقة، ان أجهدهم الصوم وأوصلهم الى حد المشقة، ولا مندوحة بتركه، فلهم ان يفطروا، **عليهم القضاء.**

٤- الطالب الذي يجد المشقة والإرهاق بسبب الامتحان، ولا يستطيع مواصلة الصوم، يجوز له الفطر، شريطة ان يبدأ نهاره بالصوم، **عليه القضاء.**

٥- يجوز للصائم ان يفعل ما يخفف عنه شدة الحر والعطش، كالاغتسال او السباحة، أو التبرد بالماء.

٦- يجوز للصائم قلع ضرسه، أو سنه ومداواة جرحه.

٧- يجوز للصائم ان ينوي الصيام وهو جنب، ثم يغتسل بعد طلوع الفجر.

٨- يجوز سحب الدم من الصائم، أو حقن المريض به، دون اضافة اي مواد اليه، أو الحجامة، شريطة ان لا يلحق الضرر بالصائم.

٩- السائق الذي يتنقل داخل المدينة، ويقطع مسافة أكثر من مسافة القصر، لا يجوز له ان يفطر، لأنه ليس بمسافر.

١٠- يجب على المرأة اذا طهرت في رمضان، من الحيض او النفاس قبل الفجر ان تصوم، وان لم تغتسل الا بعد طلوع الفجر.

١١- من مات وعليه صوم، فوليه بالخيار بين: الصوم أو الفدية «اطعام مسكين عن كل يوم».

١٢- تجب صدقة الفطر على كل مسلم ذكر أو أنثى صغير أو كبير، يخرجها المسلم عن نفسه ومن تلزمه نفقته في شهر رمضان، وينتهي وقتها بصلاة العيد، ومقدارها صاع (٢,٥ كغم) من قوت البلد كالقمح أو الأرز، ويجوز إخراج القيمة ولعله الأولى والأكثر تحقيقاً لمصلحة الفقير في هذه الأيام.

**والحمد لله رب العالمين**

# غزوة بدر .. دواعيها وآثارها

■ بقلم الدكتور مصطفى محمد الحديدي

**مكث النبي الكريم ﷺ بمكة ثلاثة عشر عاماً، يدعو المشركين بها الى نبذ عبادة الأوثان، والإيمان بخالق الأكوان، والاتجاه بعبادتهم الى الإله الواحد القهار، بدلاً من عبادة أرباب متفرقة زائفة، وكان يقيم لهم من الأدلة ما فيه راحة القلوب وطمأنينة النفوس، كقوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ الأنبياء: ٢٢، وقوله تعالى: ﴿ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾ الحج: ٣٣ .. الى غير ذلك من الآيات البينات.**

وقد عرف اهل مكة النبي ﷺ منذ صباه صادقاً أميناً، كما عرفوه عالي الهمة، بعيداً عن سفاسف الأمور، عزوفاً عن الدنايا وهنات الأخلاق، ولهذا أمره الله سبحانه وتعالى ان يذكرهم بماضيه المشرق بقوله سبحانه: **﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون ❖ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون﴾** يونس: ١٦-١٧ .

وكان ﷺ يقول لهم: «ان الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله الا هو إني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة،

والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن، ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً، وانها لجنة أبداً أو لنار أبداً».

وقد أيده الله تعالى بالقرآن العظيم، الذي أعجز الإنس والجن ان يأتوا بمثله، كما أيده سبحانه وتعالى بكثير من المعجزات الكونية وما ازداد قومه بذلك الا نفوراً وعلواً واستكباراً، ثم عمدوا الى إيذائه ﷺ ومن آمن معه، ومات بعضهم من أثر التعذيب، ولم يجدوا أمامهم سوى الصبر، والمصابرة امتثالاً لأمره سبحانه: **﴿واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾** النحل: ١٢٧، وقوله جل وعلا: **﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾** آل عمران: ٢٠٠ .

### ❖ الهجرة الى المدينة:

وأخيراً تآمروا على قتله ﷺ، فهاجر الى المدينة وسبقه اليها المؤمنون، فآواه أهلها واتبعوا النور الذي أنزل معه، دون حرب ولا قتال، وكان فريق من زعمائهم قد آمنوا به في مواسم الحج بمكة، وبايعوه على نصرته ان قصده المشركون بسوء، ولما عادوا نشروا الاسلام بين ذويهم، فخافت قريش ان ينتقم منهم، فوطنوا أنفسهم على قتاله حينما تحين الفرصة.

فلهذا أذن الله للنبي ﷺ والمؤمنين بالقتال، فقال تعالى: **﴿ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور ❖ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ❖ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾** الحج: ٣٨-٤٠ .

### ❖ لإعلاء كلمة الله:

فأنت ترى من هذا النص ان الرسول ﷺ أمره الله تعالى بالقتال دفاعاً عن النفس، وانتقاماً من اعدائه الذين أخرجوه وآذوه، وكسراً لشوكة الشرك والوثنية لتعلوا كلمة الله، وينجوا اهل الحق من اهل الباطل، فإنه لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله، بأيدي أعداء الأديان ولم يؤمر النبي ﷺ بقتال

المشركين من غير أهل مكة، الا بعد ان اعانوهم على قتاله، وفي ذلك يقول الله جل وعلا: ﴿**وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة**﴾ التوبة: ٣٦ .

ولقد بلغ من حرص الاسلام على السلام انه يأمر المؤمنين ان يجيروا من استجار بهم ولو مشركاً، ثم يبلغوه مأمنه ان رفض ما عرضوا عليه من الاسلام، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه**﴾ التوبة: ٦ .

كما يأمرهم بالكف عن إكراه أحد على الدين، قال تعالى: ﴿**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**﴾ البقرة: ٢٥٦، وقال سبحانه مسلياً نبيه الكريم ﷺ بعد اعراض قومه: ﴿**ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**﴾ يونس: ٩٩، وقوله تعالى: ﴿**انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**﴾ القصص: ٥٦، وقال في حق أهل الكتاب: ﴿**ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم**﴾ العنكبوت: ٤٦، وأمر سبحانه باحترام العهود والمواثيق فقال: ﴿**وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولاً**﴾ الاسراء: ٣٤ ، ونهى جل شأنه عن قتل المعاهد، وتوعد بعقاب قاتله، قال ﷺ: «من قتل نفساً معاهداً لم يرح ريح الجنة» وقال ﷺ في أهل الذمة: «من آذى ذمياً فقد آذاني» وقال ﷺ: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

ومع ان الاسلام دين السلام، فقد أوجب على اهله ان يعدوا أنفسهم لرد العدوان من أهل البغي أو لتخويفهم، قال تعالى: ﴿**واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**﴾ الأنفال: ٦٠ .

كما اباح لهم نقض الميثاق مع قوم يخافون خيانتهم بعد تأكدهم من الأمارات الدالة على تبييتهم نية الخيانة، قال تعالى: ﴿**وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين**﴾ الأنفال: ٥٨ .

والحرب الدفاعية تقرها المواثيق الدولية والأديان السماوية، ففي سفر التثنية «اصحاح ٢٠» «واذا تقدمت الى مدينة لتقاتلها، فادعها اولاً الى السلم فإذا أجابتك الى السلم وفتحت لك فجميع الشعب الذين فيها يكونون تحت الجزية»..

الخ، وفي انجيل متى يقول المسيح: «لا تظنوا أني جئت لألقى سلاماً على الأرض، ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً».

فأنت ترى ان الأديان مجمعة على ان الحرب ضرورة وقائية ضد الذين لا يحفلون بالبرهان ويبادرون بالعدوان.

وبعد فقد تبين مما سبق ان الحرب الدفاعية مشروعة في المواثيق الدولية والأديان السماوية، وان المسلمين ممنوعون من العدوان على سواهم، فلا يقاتلون الا من يقاتلهم أو يخون مواثيقه معهم او يستعد لقتالهم، وان الاسلام لم ينتشر بالسيف كما زعم الزاعمون، بل انتشر بمبادئه الرشيدة، وما قاتلوا إلا لرد العدوان أو الوقاية منه، ومن ذلك ما حدثنا به التاريخ عن التتار من أنهم فعلوا الأفاعيل الرهيبة في البلاد الاسلامية على يد هولاكو، وأراقوا دماءهم انهاراً، وأحدثوا من المنكرات ما يندى له جبين الانسانية، ثم اعان الله المسلمين عليهم فهزموهم في معركة عين جالوت، هزيمة منكرة ذهبت بها شوكتهم، فاختلطوا بالمسلمين، وعرفوا منهم سماحة الاسلام، فأسلم منهم كثيرون، واصبحوا من رجال الاسلام ودعاته وناشريه في الصين والهند وكثير من الأقاليم الآسيوية، بعد ان كانوا حرباً عليه وعلى أهله.

### ❖ السبب المباشر لغزوة بدر:

في السنة الثانية للهجرة، خرجت قريش بأعظم عير لها، ولم يبق بمكة قرشي ولا قرشية الا بعث بماله فيها، وكان فيها تسعة وعشرون رجلاً على رأسهم أبو سفيان، فعلم النبي ﷺ بخروجهم، فرأى ان يعاقبهم وينتقم منهم ويضعف قدرتهم المالية والنفسية بالاستيلاء على عيرهم، ليشعروا بقوته وضعفهم، فلا يتكالبوا على القضاء على دين ربه، فلما علم الرسول ﷺ بعودتها من الشام في طريقها الى مكة وفيها أموالهم الكثيرة، قال لأصحابه: اخرجوا اليها لعلها تكون نفلاً لكم، فخف بعضهم وثقل البعض الآخر، لأنهم ظنوا ان النبي ﷺ لا يلقى حرباً، فخرج النبي بمن خف معه لثماني ليال خلون من رمضان، وقيل: لاثنتي عشرة ليلة منه، ثم عسكر بمكان على بعد ميل من المدينة يسمى بئر عنبة، وعرض الجنود فرد من لا يصلح للقتال منهم، وعد الباقي فوجدهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً بعدة أصحاب طالوت الذين جاوزا معه النهر وانتصروا على أعدائهم ففرح النبي ﷺ بذلك.

وسار ﷺ بهم حتى وصل الى وادي ذفران فنزل به، فجاءه خبر مسير قريش لحماية عيرهم، فقد بلغ ابا سفيان ان النبي ﷺ يريده، فاستأجر ضمضم بن غفار بعشرين مثقالاً ليستنفر قريشاً، فلما بلغ مكة جعل يصرخ من فوق بعيره، وقد شق قميصه وجدع أنف البعير، وكان يقول في صراخه: يا معشر قريش.. اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع ابي سفيان عرض لها محمد في اصحابه.. الغوث الغوث، فتجهز الناس سراعاً.

وكان عدة من خرج منهم تسعمائة وخمسين أمامهم القينات يغنين ويحرضنهم على القتال، وكان معهم مائة فرس وسبعمائة بعير، وقد اغتروا بعددهم وعدتهم، وزين لهم الشيطان اعمالهم **﴿وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم﴾** وكان غرورهم سبب هلاكهم، قال حسّان:

سرنا وساروا الى بدر لحينهموا[1]

لو يعلمون يقين العلم ما ساروا

دلاهموا بغرور ثم أسلمهم

ان الخبيث لمن والاه غرّار

لما كان النبي ﷺ بوادي ذفران علم بمسير قريش لحماية عيرها، فقال لأصحابه: «ان الله وعدني إحدى الطائفتين العير او النفير» وكان التوجه الى العير أحب الى بعضهم، ليستعينوا بما فيها من الأموال على شراء الخيل والسلاح، فقالوا: هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له، وفي ذلك يقول الله تعالى معاتباً لهم: **﴿وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم..﴾** الأنفال: ٧ .

وتكلم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فأحسنا الكلام، وقال المقداد بن الأسود: يا رسول الله، امض لما أمرك الله، فوالله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى: **﴿اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون﴾** ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد[2] لجالدنا معك من دونه، حتى نبلغه، فدعا له بخير وأثنى عليه.

وكان الأنصار قد قالوا في بيعتهم بالعقبة: يا رسول الله انا برآء من ذمتك حتى تصل الينا، فخاف النبي ﷺ ان لا يروا وجوب القتال خارج المدينة، فلهذا خاطبهم قائلاً: أشيروا علي ايها الناس:

فقال سعد بن معاذ سيد الأوس: كأنك تريدنا يا رسول الله، قال: اجل، قال سعد: قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا ان ما جئت به هو الحق، واعطيناك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما اردت فنحن معك، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا، انا لصبر في الحرب صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله تعالى، فسر النبي ﷺ ونشط وقال: «سيروا وابشروا فإن الله قد وعدني احدى الطائفتين، والله لكأني انظر الى مصارع القوم» ثم ارتحل ونزل قريباً من بدر.

لما نزل النبي ﷺ بالقرب من بدر علم أبو سفيان بذلك، فاتجه بعيره نحو الساحل حذراً من لقاء رسول الله ﷺ واصحابه، وكان جيش قريش قد نزل بالجحفة، فبعث اليهم ابو سفيان، لقد نجوت بعيركم وأموالكم فارجعوا، فقال ابو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم بها ثلاثاً، فننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتتسامع بنا العرب فيها بوننا، فبلغ ذلك أبا سفيان فقال: هذا بغي والبغي وخيم العاقبة، ثم سار جيش المشركين حتى نزلوا بعدوة بدر القصوى من المدينة، فعلم النبي ﷺ بما كان من أمرهم، فأقبل على جيشه قائلاً: هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ أكبادها، ثم سار بهم حتى نزلوا بعدة بدر الدنيا من المدينة، بعيداً عن الماء في ارض سبخة في غير مصلحتهم، وقد اصبحوا عطاشاً، فوسوس اليهم الشيطان أنهم سيموتون عطشاً، وسيتمكن المشركون منهم، ولكن الله ثبتهم بفضله، وغشاهم بالنعاس ثم انزل عليهم مطراً سال به الوادي، فشربوا وملأوا حياضهم وأسقيتهم، وتلبدت الأرض حتى ثبتت عليها الاقدام، وكان الأمر بالعكس على المشركين، حتى لم يعودوا قادرين على الارتحال، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام**﴾ الأنفال: ١١ .

بات النبي ﷺ بأصحابه حيث نزلوا، ولما أصبح بهم الصبح، ثم سار بهم حتى نزل بأدنى ماء من بدر، فقال الحباب بن المنذر الانصاري -وكان معروفاً بجودة الرأي في الحرب-: أرأيت هذا المنزل

أنزلكه الله، أم هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال ﷺ: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة» قال: يا رسول الله؛ ليس هذا بمنزل، فانهض بالناس حتى ادنى ماء من القوم، فننزله، ثم نغور ما وراءه من الآبار، ثم نبني حوضاً فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون، فاستحسن النبي ﷺ رأيه، ونفذ ما أشار به الحباب.

ثم بنى للرسول عريشاً فوق تل مشرف على المعركة، فكان فيه مع ابي بكر، وقام سعد بن معاذ متوشحاً بالسيف على باب العريش.

بعد ان نزلت قريش بالعدوة القصوى باتوا بها ثم اصبحوا، فأقبلوا على وادي بدر في خيلاء وفخر، فلما رآهم النبي ﷺ قال: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني».

ولما اطمأنت قريش في وادي بدر، بعثوا عميراً بن وهب الجمحي ليقدر جيش المسلمين، فلما عاد أخبرهم أنهم ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً او ينقصون، ولكني رأيت نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، يتلمظون تلمظ الأفاعي، لا يريدون العودة الى أهليهم، ليس لهم ملجأ الا سيوفهم، الى آخر ما قال، فنضحهم حكيم بن حزام بالعودة دون قتال، ولكن ابا جهل أصر على المواجهة قائلاً: «لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وقال آخرون: غر هؤلاء دينهم وتعبئوا للقتال، وكما أراهم الله للمشركين قليلين، أرى الكافرين للمؤمنين قليلين، ليقبلوا على لقائهم في ثقة وطمأنينة، وفي ذلك يقول الله تعالى: **﴿وإذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾** الأنفال: ٤٤ .

في اليوم السابع عشر من رمضان خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد، ودعا الى المبارزة، فخرج اليهم ثلاثة من الأنصار، فقالوا لهم: انتم أكفاء كرام، ونحن نريد قومنا -يقصدون المهاجرين- فأمر النبي ﷺ برجوعهم الى مصافهم، وان يخرج اليهم عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن ابي طالب، فبارز عبيدة عتبة وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد، فقتل حمزة وعلي غريميهما فوراً، وأصاب كل من عبيدة وعتبة صاحبه ولم يقتله، فحمل علي وحمزة على عتبة فأجهزا عليه، وحملا

صاحبهما الى النبي ﷺ فأفرشه قدمه، وبشره بالشهادة.

وبعد هذه المبارزة تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض، فجعل النبي ﷺ يعدل صفوف أصحابه، ثم رجع الى عريشه، وقال: «اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد» ثم قال: «سيهزم الجمع ويولون الدبر» وأخذ حفنة من الحصباء، فاستقبل بها قريشاً وقال: شاهت الوجوه ونضحهم بها، فكان لها شأنها في هزيمتهم، حيث جعل المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وجعل كل منهم ينكب على وجهه لا يدري اين يتوجه، يعالج التراب ينزعه عن عينيه، وفي ذلك يقول الله تعالى: **﴿وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى﴾**.

### ❖ الامداد بالملائكة وهدفه:

روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لما كان يوم بدر ونظر رسول الله ﷺ الى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: اللهم انجز لي ما وعدتني، وفيه انزل الله: **﴿اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾** فأمده الله بالملائكة، وهذه الرواية تخالف الرواية الأولى في عدد جيش المسلمين والمشركين، لأنه تقريبي ولم يكن الغرض الأساسي من إمدادهم بالملائكة ان يقاتلوا دونهم، بل تثبيتهم وإلقاء الرعب في قلوب المشركين بتكثير عدد المؤمنين وقت المعركة، بعد ان قدروهم قليلين قبلها، ولهذا قال تعالى: **﴿وما جعله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم﴾** ولو كان نزولهم لغرض القتال، لكان ملك واحد كافياً في إبادة المشركين، كما حدث لقوم صالح، ويشهد لذلك قوله تعالى: **﴿إذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾**.

ولهذا استطاع المؤمنون ان يحرزوا النصر في جو من الطمأنينة، واستحقوا ان يقول الرسول ﷺ فيهم «لعل الله اطلع على اهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

### الهوامش:

١- الحين: الهلاك.

٢- اسم مكان بعيد، وقال ابن عليم في الباهر: هو اقصى معمور الأرض، انظر القاموس في مادة الغمد.

# مرحباً بك يا شهر الصيام

■ بقلم الاستاذة هبة زكي العجرمي

**قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ❖ اياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً او على سفر فعدة من أيام أخر﴾ البقرة: ١٨٣-١٨٤ .**

**وقال عز من قائل: ﴿شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه..﴾ البقرة: ١٨٥ .**

ها هو شهر الرحمة قادم الينا، وقد شارف ان يطرق الأبواب ليعلن عن قدوم الرحمة والمغفرة والمحبة، وها قد عاد هذا العام وقد عانقه رجل بكى أسفاً على فراقه في الماضي، عاد الى شاب أخذته الدنيا ذلك العام وزينت له المعاصي وها هو ذاك الشاب جثا على ركبتيه يبكي لفراقه ويحزن لفواته.

عاد شهر الرحمة ولا زالت في ذكرياتي تلك المساجد التي تصدح بأصوات المسلمين يصلون ويتهجدون ويبكون، ونسمع أنين المحبين على فراقه في آخر لياليه من العام الماضي.

وفي هذه الايام ننتظر بشغف ودموع فرح لاستقبال اغلى الشهور واكرم الشهور على قلوبنا، ننتظر الأيام المباركة، أيام

النقاء والصفاء، حيث تسموا النفوس وتصفوا القلوب، وترقى الأرواح، وتصفد الشياطين لتفتح ابواب الجنان وتغلق أبواب النيران، ويعتق فيها الرحمن رقاباً من بني الانسان، ويفيض القلب ويذوب وينساب مع آيات القرآن.

فأهلاً ومرحباً بك ايها الضيف الكريم والشهر العظيم، مرحباً بك يا شهر الإحسان يا نبع الغفران، يا حبيب الرحمن.

### ❖ كيف نستقبل رمضان؟

ينبغي للمسلم ان لا يفرط في مواسم الطاعات وان يكون من السابقين اليها ومن المتنافسين فيها، قال تعالى: **﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾** فاحرص أخي المسلم على استقبال رمضان بالطرق السليمة التالية:

١- الدعاء ان يبلغك الله شهر رمضان وأنت في صحة وعافية، حتى تنشط في عبادة الله تعالى، صياماً وقياماً وذكراً، فقد كان النبي ﷺ يقول اذا دخل رجب: «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان».

٢- الحمد والشكر على بلوغه، قال الإمام النووي رحمه الله: «إعلم انه يستحب لمن تجددت له نعمة ظاهرة او اندفعت عنه نقمة ظاهرة ان يسجد شكراً لله تعالى، أو يثني بما هو أهل له، وان من اكبر نعم الله على العبد توفيقه للطاعة والعبادة».

٣- عقد العزم الصادق على اغتنامه وعمارة أوقاته بالأعمال الصالحة، فمن صدق الله صدقه وأعانه على الطاعة ويسر له سبل الخير، قال تعالى: **﴿فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم﴾** محمد: ٢١ .

٤- علينا ان نستقبله بالعزم على ترك الآثام والسيئات والتوبة الصادقة من جميع الذنوب، والاقلاع عنها وعدم العودة اليها، فهو شهر التوبة فمن لم يتب فيه فمتى يتوب؟!، قال تعالى: **﴿وتوبوا الى الله جميعاً ايها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾** النور: ٣١ .

٥- التهيئة النفسية والروحية من خلال القراءة والاطلاع على الكتب والرسائل وسماع الأشرطة الاسلامية والمحاضرات والدروس، التي تبين فضائل الصوم وأحكامه حتى تتهيأ النفس للطاعة فيه، فكان النبي ﷺ يهيئ نفوس اصحابه رضوان الله عليهم لاستغلال هذا الشهر.

٦- نستقبل شهر رمضان بصفحة جددة بيضاء مشرقة مع:

أ- الله سبحانه وتعالى بالتوبة الصادقة.

ب- الرسول ﷺ في طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر.

ج- مع الوالدين والأقارب والأرحام والزوجة والأولاد بالبر والصلة.

د- مع المجتمع الذي تعيش فيه حتى تكون عبداً صالحاً ونافعاً.

قال رسول الله ﷺ: «افضل الناس انفعهم للناس».. هكذا يستقبل المسلم رمضان استقبال الأرض العطشى للمطر، واستقبال المريض للطبيب المداوي، واستقبال الحبيب للغائب المنتظر، فاللهم بلغنا رمضان وأنت راضٍ عنا وتقبل منا إنك انت السميع العليم.

والحمد لله رب العالمين

# فتح مكة
# في ٢٠ رمضان

■ بقلم الدكتور ماجد احمد المومني

**خرج الرسول الكريم ﷺ في السنة السادسة للهجرة، ومعه بعض المسلمين ليؤدوا العمرة، ولم يكن معهم الا سلاح المسافر، وقد ساق الهدي وأحرم للعمرة، حتى يأمن المشركون ويتيقنوا أن قصده البيت الحرام وأداء مناسك العمرة.**

**فلما علمت قريش بمسيرة المسلمين، ظنت ظن السوء وأن المسلمين جاءوا لقتالهم، فتأهبوا لملاقاتهم وقتالهم، فأمر الرسول ﷺ المسلمين ان يسلكوا طريقاً غير الطريق الذي سلكته قريش وقال: «والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يسألونني فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها».**

وكان الرسول ﷺ وقتئذ يعتزم الخير بقريش في حين كانت قريش تضمر الشر للمسلمين، حيث بعثت ما بين الأربعين والخمسين فارساً ليطوقوا المسلمين وينالوا منهم مقتلاً، ولكن المسلمين أسروا معظم المقاتلين، وعفا الرسول ﷺ عنهم وخلى سبيلهم.

**وجرت عندئذ مفاوضات بين الرسول الكريم ﷺ وقريش، انتهت بصلح الحديبية وقد رضي الرسول الكريم ﷺ بعقد صلح الحديبية وأهم بنوده:**

- ان يرجع الرسول ﷺ واصحابه في ذلك العام، فلا يدخلوا مكة وان يكون حجهم في العام القادم من غير سلاح.

- ان تقوم بين الرسول ﷺ واصحابه وبين قريش هدنة، مدتها عشر سنوات لا تقع فيها خيانة ولا غدر.

- من أحب ان يدخل في عهد محمد ﷺ - من غير إذن وليه- ردّه عليهم، وأن من أحب من أصحاب محمد ﷺ ان يدخل في عهد قريش فلا يرده.

وبنود هذا الاتفاق قد تبدو قاسية على المسلمين، ولكن بصيرة الرسول الكريم ﷺ بعيدة المدى، فقد ضمن بهذا الصلح دخول مكة بدون قتال، مع حقيقة ان المسلم المؤمن لا يرتد عن دينه مهما كانت الظروف، سواء كان هذا المؤمن تحت لواء محمد ﷺ أم في وطن المشركين.

ولم تنقض سنتان على هذه المعاهدة حتى نقضتها قريش، حيث ان قبيلة خزاعة قد دخلت في عهد محمد ﷺ، ودخلت قبيلة بني بكر في عهد قريش، وكانت بين خزاعة وبكر ثارات قديمة سكنت بعد صلح الحديبية.

فلما كانت واقعة مؤتة، خيل الى قريش ان المسلمين ضعف شأنهم، وظن فريق من بكر ان الفرصة سانحة لهم ليصيبوا من خزاعة ما يشفي غليلهم، فمدت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل بعض القرشيين معهم ضد خزاعة، وبذلك نقضت قريش ما كان بينها وبين الرسول ﷺ في صلح الحديبية لاعتدائها على حلفائه، واستنجدت خزاعة بالرسول ﷺ وأصحابه، فوعدهم الرسول ﷺ بنصرته، ورأى ان هذا النقل لا مقابل له الا فتح مكة.

وأدرك بعض حكماء قريش سوء فعلتهم، فأوفدوا أبا سفيان الى المدينة لتلافي غلطتهم، ولكن الرسول ﷺ ارجعه الى مكة خائباً نتيجة لغدر قريش وخيانتهم، ولم يترك الرسول ﷺ الفرصة لقريش بالاستعداد لحربه، وتحركت جيوش المسلمين الى مكة لفتحها وتطهير البيت الحرام من رجس الأصنام والأوثان، وقسّم الرسول ﷺ جيشه الى أربعة أقسام، وأمرهم بألا يقاتلوا الا من قاتلهم، وألا يسفكوا دماءً مسالمة، فلما أقبلوا على مكة ودخلوها، أمر الرسول ﷺ منادياً ينادي: «من دخل داره فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن».

ودخلت الجيوش الاسلامية مكة ولم تلق مقاومة تذكر، سوى بعض الحوادث البسيطة التي لقيها خالد بن الوليد رضي الله عنه وفرقته بدخوله حي قبيلة بكر ناقضة عهد الحديبية، فأمطرها خالد وجيشه بنبالهم وفقدوا عشرين رجلاً من رجالهم بينما لم يفقد المسلمون سوى شهيدين ضلا الطريق.

وقد أمر الرسول ﷺ بقتل ثمانية رجال وأربع نسوة، كانوا قد اشتدوا في إيذائه وعداوته ومقاومة دعوته، الا انه لم يقتل منهم بالفعل الا اربعة، اثنان أسلما ثم ارتدا عن الاسلام وارتكبا جريمة القتل، وآخران بقيا على شركهما مع الامعان على مقاومة المسلمين.

وممن امر بقتله صفوان بن امية بن خلف، وكان من سادة الكفر فتوسل عمير بن وهب الجمحي الى الرسول ﷺ وطلب له الأمان، فأجابه الرسول ﷺ، فلما علم صفوان بذلك قدم الى الرسول ﷺ وقال له: «ان عميراً يزعم أنك أمنتني! فقال الرسول ﷺ: صدق، فقال صفوان: اجعلني بالخيار شهرين، فقال له الرسول ﷺ: انت بالخيار اربعة أشهر، فأقام معه على دينه وشهد معه حنيناً، فلما قنعت نفسه بالاسلام أعلن اسلامه وحسن إسلامه».

وفتح ﷺ مكة الفتح الأعظم بدون خسائر تذكر، وكان هذا الفتح الأعظم أكبر دليل على ان المسلمين في فتوحاتهم انما مقصدهم نشر الدعوة الاسلامية، ولم تكن الحرب هدفاً لهم، وأن من اراد البقاء على دينه فله ذلك، على ان يدفع الجزية مقابل توفير الحماية له من الأخطار والحروب الخارجية.

ولما تم الفتح الأعظم نزل الرسول ﷺ بأصحابه في اعالي مكة، وضربت له قبة على مقربة من قبري عمه أبي طالب وزوجته خديجة رضي الله عنها، وصلى صلاة شكر لله تعالى بأن أعاده الى وطنه منتصراً عزيزاً.

ولم يقم طويلاً بالقبة ونزل حتى بلغ الكعبة، وكان ذلك في العشرين من رمضان، فطاف بالبيت العتيق ثم بدأ بتطهيره من الأوثان والأصنام، وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل ﷺ يحطمها بمحجنه ويعاونه أصحابه رضي الله عنهم حتى قضى عليها جميعاً، وكان ﷺ يتلو: ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل ان**

**الباطل كان زهوقاً﴾** وبذا طهر البيت الحرام من الرجس والأوثان.

فلمى قضى طوافه وقف على باب الكعبة وتلا قوله تعالى: **﴿يا أيها الناس انا جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾** الحجرات: ١٣، ثم قال ﷺ: «لا إله الا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، يا معشر قريش ما ترون اني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء».

فكانت هذه الكلمات بمثابة العفو العام عن قريش وعن أهل مكة جميعاً، وضرب الرسول ﷺ بعفوه هذا للعالم مثلاً سامياً في سمو النفس وكرمها، حتى مع أكثر اعدائه وخصومه.

ثم جلس الرسول ﷺ على الصفا واجتمع الناس لمبايعته على الاسلام، فبايع أولاً الرجال ثم النساء، ودخلوا في الاسلام أفواجاً أفواجاً، قال تعالى: **﴿اذا جاء نصر الله والفتح ❖ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ❖ فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً﴾** النصر: ١-٣ .

هذا هو خلق الاسلام والمسلمين.. العفو عند المقدرة، والتسامح عند الظفر، والشكر عند النصر.

ومع ان الرسول ﷺ خرج لفتح مكة بكتائب الاسلام وجنود الرحمن، مما لا قبل للعدو على مجابهته، فقد حرص على ألا تهدر الدماء، ولا تزهق الأرواح، وان يتعاملوا باللطف والتسامح حتى مع أكثر أعداء الاسلام، وأكبر دليل على ذلك ان كرّم أبا سفيان -زعيم المشركين قبل إسلامه- بأن من يدخل بيته فهو آمن، تكريماً له وإبقاء لمكانته وعلو شأنه، ويكفي انه عفا عن آكلة كبد عمه حمزة «هند بنت عتبة»، وعفا عنها.

حوادث كثيرة تشهد للاسلام سماحته وعلو شأنه، وأتم الله نعمته على رسوله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم بهذا الفتح العظيم، قال تعالى: **﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ❖ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً ❖ وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾** الفتح: ١- ٣ .

# موعد إمساك الصائم وإفطاره

## دراسة حديثية فقهية مقارنة

■ بقلم الاستاذ محمد ابو صعيليك

**هذه دراسة لمسألتين هامتين تشغلان المسلم أيام شهر رمضان المبارك، وسأبحثهما كما يلي:**

**المسألة الأولى: وقت إمساك الصائم، وقد اختلف اهل العلم في امساك الصائم على قولين.. الأول: يبدأ وقت الامساك بالنسبة للصائم بطلوع الفجر الثاني المستطير الأبيض، وهذا قول الحنفية، قال المرغيناني في الهداية: ووقت الصوم من حين طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس(١).**

**وقال الميداني في اللباب: ووقت الصوم من حين طلوع الفجر الثاني الذي يقال له: الصادق، الى غروب الشمس(٢).**

والمالكية: قال ابن جزي في القوانين الفقهية: وأوله طلوع الفجر الصادق الابيض عند الفجر(٣)، والحنابلة: قال البهوتي في شرح منتهى الارادات: وهو من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس(٥).

وبه قال عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهم، وعلماء الأمصار(٦)، وبه قال عطاء وعوام اهل العلم(٧)، وهو مذهب اسحق بن راهويه، يقول ابن المنذر: وقد كان اسحق يميل الى القول الأول من غير ان يطعن على الآخرين(٨).

وقال الحافظ ابن حجر: وذهب جماعة من الصحابة وقال به الأعمش من التابعين وصاحبه ابو بكر بن عياش، الى جواز

السحور الى ان يتضح الفجر[٩]، وقال اسحق: وبالقول الأول أقول: ولكن لا أطعن على من تأول الرخصة كالقول الثاني، ولا أرى عليه قضاء ولا كفارة[١٠].

وقال ابن قدامة الحنبلي رحمه الله: وهذا اجماع لم يخالف فيه الا الأعمش وحده، فشذ، ولم يعرج أحد على قوله[١١].

ثانياً: القول الثاني: ان اول الإمساك هو طلوع الفجر الأحمر، الذي يكون بعد الأبيض، وهو نظير الشفق الأحمر[١٢] وهذا قول:

**أ- جماعة من الصحابة، وهم:** علي بن ابي طالب، حذيفة بن اليمان، عبد الله بن مسعود، وابو بكر الصديق، وابو هريرة، وابن عباس، سعد بن ابي وقاص، وعمر بن الخطاب، وخبيب عم حذيفة، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، رضي الله عنهم أجمعين[١٣].

وفي هذا يقول ابن حزم: فهؤلاء أحد عشر من الصحابة لا يُعرف لهم مخالف من الصحابة رضي الله عنهم[١٤].

**ب- جماعة من التابعين:**

فقد رواه ابن حزم في المحلى عن: محمد ابن علي، وأبي مجلز، وابراهيم ومسلم واصحاب ابن مسعود، وعطاء، والحسن، والحكم بن عتيبة، ومجاهد، وعروة بن الزبير، وجابر بن زيد[١٥]، **وممن بعدهم:** معمر، والأعمش[١٦].

**ج- وهو مذهب اهل الظاهر:**

وفي هذا يقول ابن حزم الظاهري عليه رحمه الله: ولا يلزم صوم في رمضان ولا في غيره الا بتبين طلوع الفجر الثاني، وأما ما لم يتبين، فالأكل والشرب والجماع مباح كل ذلك[١٧].

سبب الخلاف: وعن سبب خلافهم في هذه المسألة يقول الامام ابن رشد الحفيد في كتابه بداية المجتهد: وسبب هذا الخلاف هو اختلاف الآثار في ذلك، واشتراك اسم الفجر، واعني انه يُقال على الأبيض والأحمر[١٨].

❖ **الأدلة:**

**وبعد هذا العرض لمذاهب العلماء في هذه المسألة نعرض لأدلة الفريقين كما يلي:**

**أدلة الجمهور:** استدل الجمهور القائلون ان اول الامساك هو طلوع الفجر الثاني بالأدلة التالية:

١- قول الله تبارك وتعالى: ﴿.. **حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر**﴾[١٩]، قال ابن قدامة: يعني بياض الليل من سواد النهار، وهذا يحصل بطلوع الفجر[٢٠].

٢- حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿**حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر**﴾ قلت: يا رسول الله، اني أجعل تحت وسادتي عقالين، عقال ابيض وعقال اسود، اعرف الليل من النهار، فقال رسول الله ﷺ: «ان وسادك لعريض، انما هو سواد الليل وبياض النهار».[٢١]

٣- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أنزلت: ﴿**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود**﴾ ولم ينزل من الفجر، فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الأسود، ولا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله تعالى ﴿**من الفجر**﴾ فعلموا انه يعني به الليل والنهار[٢٢].

٤- عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يغرنكم أذان بلال، ولا هذا العارض لعمود الصبح حتى يستطير»[٢٣].

٥- عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا يمنعن أحدكم أو أحداً منكم أذان بلال من سحوره، فإنه يؤذن أو ينادي بليل، ليرجع قائمكم، ولينبه نائمكم، وليس ان يقول الفجر أو الصبح، وقال بإصبعه ورفعها الى فوق، وطأطأ الى أسفل حتى يقول هكذا، وقال بسبابتيه، إحداهما فوق الأخرى، ثم مدهما عن يمينه وشماله»[٢٤].

قلت: فهذه أهم أدلة الجمهور، ونكتفي بما ذكرناه هنا والله اعلم.

### ❖ أدلة القائلين ان اول الامساك يكون بتبين طلوع الفجر:

**استدل القائلون ان أول الإمساك يكون بتبين طلوع الفجر بالأدلة التالية:**

١- الآية السابقة التي استدل بها الجمهور، وفي هذا يقول الامام ابو محمد بن حزم رحمه الله تعالى: برهان ذلك قول الله عز وجل: ﴿**فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا**

**الصيام الى الليل﴾** وهذا نص ما قلناه لأن الله تعالى أباح الوطء والأكل والشرب الى ان يتبين لنا الفجر، ولم يقل تعالى: حتى طلوع الفجر، ولا قال: حتى تشكوا في الفجر، فلا يحل لأحد ان يقول، ولا ان يوجب صوماً بطلوعه ما لم يتبين للمرء[٢٥].

٢- عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهما: كان بلال رضي الله عنه يؤذن بليل، فقال رسول الله ﷺ: «ان بلال يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم، فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر»[٢٦].

٣- حديث سمرة الذي سبق ذكره في أدلة الجمهور.

٤- حديث عدي بن حاتم المار ذكره سابقاً.

٥- حديث سهل بن سعد آنف الذكر.

وحول استدلاله بالأحاديث هذه يقول الإمام ابن حزم: فنص ﷺ على ان ابن ام مكتوم لا يؤذن حتى يطلع الفجر، وأباح الأكل الى أذانه، فقد صح ان الأكل مباح ما لم يتبين لمريد الصوم طلوعه[٢٧].

٦- عن زر قال: قلت لحذيفة: اي وقت تسحرتم مع النبي ﷺ؟ قال: هو النهار الا ان الشمس لم تطلع[٢٨].

٧- عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اذا سمع أحدكم النداء والإناء على يده، فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه»[٢٩].

٨- عن انس بن مالك رضي الله عنه، انه رأى رسول الله ﷺ قد تسحر هو وزيد بن ثابت، وهو ﷺ يريد الصوم، ثم صلى ركعتين، ثم خرج الى المسجد، فأقيمت الصلاة[٣٠] قال ابو محمد بن حزم: هذا كله على انه لم يكن يتبين لهم الفجر بعد فبهذا تتفق السنن مع القرآن[٣١].

٩- فعل الصحابة: فقد روى ابن حزم عليه رحمة الله عن عدة من الصحابة: انهم بقوا يتسحرون حتى تبين الفجر، وهؤلاء الصحابة هم: حذيفة بن اليمان، سالم بن عبيد الاشجعي، ابو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، ابو هريرة، ابن عباس، ابن عمر، سعد بن ابي وقاص، علي بن ابي طالب، عبد الله بن مسعود، خبيب عم حذيفة.

وبعد؛ فهذه في تصوري واطلاعي ادلة القائلين انه لا بد من تبين طلوع الفجر.

**الرد على الجمهور:**

**هذا وقد رد ابن حزم على أدلة الجمهور، وكان رده كما يلي:**

١- قال ابن حزم: وقد ادعى قوم ان قوله تعالى: ﴿**حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود**﴾ وقول رسول الله ﷺ: «حتى يطلع الفجر»، «وحتى يُقال له: اصبحت، اصبحت» ان ذلك محمود على المقاربة، مثل قوله تعالى: ﴿**فإذا بلغن اجلهن فأمسكوهن بمعروف**﴾[٣٢]، انما معناه: فإذا قاربن بلوغ اجلهن، قال ابو محمد: وقائل هذا مستحل للكذب على القرآن وعلى رسول الله ﷺ، أول ذلك انه دعوى بلا برهان، وإحالة لكلام الله تعالى عن واضعه، ولكلام رسول الله ﷺ وقول عليه بما لم يقل، ولو كان ما قالوا لكان بلال وابن أم مكتوم معاً لا يؤذنان الا قبل الفجر، وهذا باطل، ولا يقوله احد، لا هم ولا غيرهم[٣٣].

٢- وقال ابن حزم رحمه الله: وقال بعضهم: قول النبي ﷺ لبلال: «إكلأ لنا الفجر» موجب لصحة قولهم، قال ابو محمد: وهذا باطل من وجهين:

**احدهما:** انه ﷺ لم يأمر بذلك الا للصلاة لا للصوم.

والثاني: انه حتى لو أمره بذلك للصوم، لكان حجة لنا لا لهم، لأن الأكل والجماع مباحان الى ان ينذرهم بلال بطلوع الفجر، وإنذاره إياهم بطلوع الفجر لا يكون الا بعد طلوع الفجر بلا شك، فالأكل والشرب والجماع مباح كل ذلك، ولو طلع الفجر، وانما يحرم كل ذلك بإنذار بلال بعد طلوع الفجر، هذا ما لا حيلة لهم فيه، وقولهم هذا هو قولهم هنا مخالف للقرآن الكريم ولجميع السنن[٣٤].

قلت: هذه ردود ابي محمد بن حزم على أدلة الجمهور، ونفيد هنا أننا لسنا معه في قسوة ألفاظه، في رده على إخوانه من مخالفيه، فسامحه الله تعالى وغفر لنا وله، ولمخالفيه من أهل العلم، وجزى الكل عنا خير الجزاء.

**رد الجمهور على المخالفين:**

**هذا وقد رد جمهور اهل العلم على الظاهرية ومن وافقهم وكان ردهم كما يلي:**

١- قوله في الحديث: «اصبحت اصبحت»، يقول ابن العربي المالكي في معناه: وتأوله علماؤنا قاربت الصباح، وقاربت تبين الخيط، وهو الأشبه بوضع الشريعة، وحرمته العبادة، لقوله ﷺ:

«يوشك من يرعى حول الحمى ان يقع فيه»[٣٥].

واذا جاء الليل فأكلت لم تخف مواقعة المحظور، واذا دنا الصباح لم يحل لك الأكل لأنه ربما أوقعك في المحظور غالباً[٣٦].

١- ان النهار يعرف عند اهل اللغة بأنه طلوع الفجر الى غروب الشمس، كما قاله العلامة ابن فارس في كتابه «مجمل اللغة»[٣٧]، وهذا ما فهم من حديث عدي آنف الذكر، ويُعقب على هذا الإمام القرطبي بقوله: فهذا الحديث يقضي ان النهار من طلوع الفجر الى غروب الشمس، وهو مقتضى الفقه في الأيمان، وبه ترتبط الأحكام، فمن حلف ان لا يكلم فلاناً نهاراً، فكلمه قبل طلوع الفجر[٣٨] حنث، وعلى الأول لا يحنث، وقول النبي ﷺ في ذلك هو الفيصل والحكم[٣٩].

٢- وأما بالنسبة لحديث ابي هريرة، فيجاب عنه بما يلي:

أ- قال الخطابي: هذا على قوله: ان بلالاً يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم» أو يكون معناه ان يسمع الأذان، وهو يشك في الصبح، مثل ان تكون السماء متغيمة(٤٠) فلا يقع له العلم بأذانه ان الفجر قد طلع لعلمه ان دلائل الفجر معه معدومة، ولو ظهرت للمؤذن لظهرت له ايضاً[٤١].

ب- وقال البيهقي رحمه الله: وهذا ان صح فهو محمول عند عوام اهل العلم على انه ﷺ علم ان المنادي كان ينادي قبل طلوع الفجر، بحيث يقع شربه قبيل طلوع الفجر، وقول الراوي: وكان المؤذنون يؤذنون اذا بزغ، يحتمل ان يكون خبراً منقطعاً ممن دون ابي هريرة، او يكون خبراً عن الأذان الثاني[٤٢].

ج- وقال ابو حاتم، الرازي رحمه الله تعالى عن حديث ابي هريرة هذا وحديثه الآخر، وفيه: وكان المؤذن يؤذن اذا بزغ الفجر، هذان الحديثان ليسا بصحيحين، أما حديث عمارة فعن ابي هريرة فموقوف وعمار ثقة، والحديث الآخر ليس بصحيح[٤٣].

د- كما نقل ابن القيم عن ابن القطان، انه مشكوك في اتصاله[٤٤].

هـ- وأما بالنسبة لحديث حذيفة،

فيقول فيه الامام الطحاوي رحمه الله تعالى: وقد يحتمل حديث حذيفة عندنا والله اعلم، ان يكون قبل نزول قوله تعالى: **﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل﴾**[٤٥].

ويقول أيضاً: ففي هذا الحديث عن حذيفة انه أكل بعد طلوع الفجر وهو يريد الصوم، ويحكى مثل ذلك عن رسول الله ﷺ، وقد جاء عن رسول الله ﷺ خلاف ذلك[٤٦]، يقول العلامة ابن القيم بخصوص حديث حذيفة: قالوا: وأما حديث حذيفة فمعلول، وعلته الوقف، وان زراً هو الذي تسحر مع حذيفة[٤٧].

وقال ابو بكر الرازي ما ملخصه: لا يثبت ذلك عن حذيفة، ومع ذلك فهو[٤٨] من أخبار الآحاد، فلا يجوز الاعتراض به على القرآن[٤٩].

و- واما ما نُقل عن الصحابة، فيمكن ان يجاب عنه: بأن هذا مذهب صحابي، ومذهب الصحابي مختلف في الاحتجاج به، بل ان ابن حزم نفسه لا يقبل الاحتجاج به، فكيف له ان يستدل به على غيره، وهذا لو سلم من مخالفة النصوص الأخرى التي هي أقوى منه.

ويقول الشيخ سعيد حوى رحمه الله: وقع بعض المؤلفين، وبعض العلماء السابقين، في خطأ كبير اذ أجازوا الأكل بعد طلوع الفجر، إما بفهم خاطئ للتبين من الآية، وإما لحمل بعض الآثار على غير محملها، وإما بسبب عدم النظر الدقيق الى عامة النصوص، وإما بفهم خاطئ للنصوص، ومهما كان الأمر فالذي عليه إجماع العلماء خلال العصور المتطاولة هو عدم جواز الأكل بعد الفجر[٥٠].

وبعد: فهذا ما وقفت عليه من ردود الجمهور على الظاهرية، ومن وافقهم في هذه المسألة، وقد تحريت في ذلك الأمانة والموضوعية ومن الله ارجو التوفيق.

### ❖ القول الراجح في هذه المسألة:

**وبعد هذه الجولة في رحاب كتب اهل العلم لاستعراض ادلة الجمهور، ثم ادلة المخالفين، ثم رد كل من الفريقين على صاحبه، فإن القول الراجح عندي في هذه المسألة هو قول جمهور اهل العلم، وذلك لقوة أدلتهم على ما يرون في هذه المسألة والله أعلم.**

❖ **المسألة الثانية: وقت افطار الصائم:**

بعد ان عرضنا للخلاف في وقت إمساك الصائم، لا بد لنا من ان نعرض لوقت افطار الصائم، فقد اتفق الفقهاء على ان وقت فطر الصائم هو غروب الشمس، وإليك تفصيل المذاهب في ذلك لما يلي:

١- الحنفية: قال صاحب الهداية: ووقت الصوم من حين طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس[٥١].

٢- المالكية: قال ابن جزي: وآخره غروب الشمس إجماعاً[٥٢].

٣- الشافعية: قال النووي في شرح المهذب: ويتم بغروب الشمس بإجماع المسلمين[٥٣].

٤- الحنابلة: قال في المغني: الى غروب الشمس[٥٤].

هذا وقد حكى ابن هبيرة اتفاق الأئمة الأربعة على ذلك بقوله: «واتفقوا على ان وجوب الصوم ووقته من أول طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس»[٥٥].

قلت: وقد ادعى الاجماع في هذه المسألة كل من ابن جزي والنووي عليهما رحمة الله.

● **الأدلة:**

**استدل اهل العلم على القول ان وقت فطر الصائم هو غروب الشمس بالأدلة التالية:**

١- **الكتاب:** في قوله تعالى: **﴿ثم أتموا الصيام الى الليل﴾**[٥٦]، وفي هذا يقول العلامة ابو بكر بن العربي رحمه الله تعالى: «فشرط ربنا إتمام الصوم حتى يتبين الليل، كما جوّز الأكل حتى يتبين النهار»[٥٧]، ويقول: الحافظ ابن كثير في تفسيره وان قوله: **﴿ثم أتموا الصيام الى الليل﴾** يقتضي الإفطار عند الغروب حكماً شرعياً[٥٨].

٢- **السنة:** وقد ورد عن النبي ﷺ أحاديث أشهرها ما يلي:

١- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اذا أقبل الليل من ها هنا وأدبر النهار من ها هنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم»[٥٩].

٢- عن عبد الله بن ابي أوفى رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر وهو صائم، فلما غابت الشمس، قال لبعض القوم: «يا فلان قم

فاجدح لنا، فقال: يا رسول الله لو أمسيت، قال: «انزل فاجدح لنا» قال: ان عليك نهاراً، قال: «انزل فاجدح لنا» فنزل فجدح لهم، فشرب النبي ﷺ ثم قال: اذا رأيتم الليل قد أقبل من ها هنا فقد أفطر الصائم»[٦٠].

● **فوائد:**

١- معنى اجدح لنا: المراد هنا هو خلط السويق بالماء، وتحريكه حتى يستوي[٦١].

٢- قال الامام تقي الدين بن دقيق العيد: الاقبال والادبار متلازمان، اعني اقبال الليل وادبار النهار، وقد يكون احدهما اظهر للعين في بعض المواضع، فيستدل بالظاهر على الخفي، كما لو كان في جهة المغرب ما يستر البصر عن إدراك الغروب، وكان المشرق ظاهراً بارزاً، فيستدل بطلوع الليل على غروب الشمس[٦٢].

٣- قال النووي: قال العلماء: كل واحد من هذه الثلاثة يتضمن الآخرين ويلازمهما، وإنما جمع بينهما، لأنه قد يكون في واد ونحوه بحيث لا يشاهد غروب الشمس، فيعتمد اقبال الظلام وإدبار الضياء[٦٣].

٤- في حديث عبد الله بن ابي أوفى تفرد الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني بزيادة: «ولو تراءاها أحد على بعيره لرآها يعني الشمس»[٦٤] وهذه الزيادة قد يُرتب عليها حكم بجواز الإفطار قبل الغروب، ولكن يمكن الرد عليها لأنها مردودة لأمور:

أ- مخالفة ظاهر الآية الى الليل، وحيث ان الشمس يمكن ان يتراءاها الناس فهذا ليس بليل.

ب- تفرد عبد الرزاق دون غيره يومئ الى احتمال شذوذها، فإنه يكون قد خالف فيها مجموع الحفاظ الذين نُقل الحديث عنهم، كما يُعلم من التخريج الذي تقدم، والشذوذ في الاصطلاح هو: مخالفة الثقة لمن هو أوثق منها.

٥- قال العلامة العيني: وفيه بيان انتهاء وقت الصوم، وهو امر مجمع عليه، وقال ابو عمر بن عبد البر في الاستذكار: اجمع العلماء على انه اذا حلت صلاة المغرب، فقد حل الفطر للصائم فرضاً وتطوعاً[٦٥].

٦- روى ابن ابي شيبة في المصنف عن سعيد بن المسيب انه قال: اذا رأيت

العصر قد فاتك فاشرب[٦٦]، وهذا يُجاب عليه بأمور:

أ- هو قول تابعي، ولا يلزمنا به حجة على فرض ثبوته.

ب- يحمل على غروب الشمس، وإقبال الليل وإدبار النهار، لأن فوتان العصر هو الغروب.

٧- روى الامام مالك في الموطأ عن حميد ابن عبد الرحمن: ان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما كانا يصليان حين ينظران الى الليل الأسود قبل ان يفطرا، ثم يفطران بعد الصلاة، وذلك في رمضان[٦٧].

ونقل الماوردي عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما انهما كانا يؤخران الافطار[٦٨]

وقد علل ذلك الإمام الشافعي بقوله: كأنما يريان تأخير ذلك واسعاً لا أنهما يعمدان الفضل لتركه بعد ان أبيح لهما، وصارا مفطرين بغير اكل ولا شرب، لأن الصوم لا يصلح في الليل، ولا يكون به صاحبه صائماً وان نواه[٦٩].

وقد اجاب الماوردي عما نقله عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما انهما ارادا بيان جواز ذلك لئلا يظن وجوب التعجيل[٧٠].

وقال النووي عن تأويله هذا: وهذا تأويل ظاهر[٧١].

وبعد؛ فهذا ما تيسر لي بحثه في موضوع وقت فطر الصائم، وأرجو من الله التوفيق والسداد انه على ما يشاء قدير.

الهوامش:

١- الهداية ١٢٢/٢ .
٢- اللباب ١٦٤/١-١٦٥ .
٣- القوانين الفقهية ٨١ .
٤- المجموع ٣٠٤/٦ .
٥- شرح منتهى الارادات ٤٣٧/١ .
٦- المجموع ٣٠٥/٦ .
٧- المغني ٣/٣ .
٨- المجموع ٣٠٥/٦ .
٩- فتح الباري ١٣٦/١ .
١٠- فتح الباري ١٣٧/٤ .
١١- المغني ٤/٣ .
١٢- بداية المجتهد ٢٨٨/١ .
١٣- المحلى ٢٣١/٦-٢٣٤ .
١٤-١٥-١٦- المحلى ٢٣٤/٦ .
١٧- المحلى ٢٢٩/٦ .
١٨- بداية المجتهد ٢٨٨/١ .
١٩- البقرة: ١٨٧ .
٢٠- المغني ٤/٣ .

٢١- رواه البخاري ١٩١٦ .

٢٢- رواه البخاري ١٩١٧ .

٢٣- رواه مسلم في صحيحه ٢٠٥/٧ .

٢٤- رواه مسلم في صحيحه ٢٠٣/٧-٢٠٤ .

٢٥- المحلى ٣٢٠/٦ .

٢٦- صحيح مسلم ٢٠٣/٧ .

٢٧- المحلى ٢٣٠/٦-٢٣١ .

٢٨- مصنف عبد الرزاق برقم ٧٦٠٦ .

٢٩- سنن ابي داود برقم ٢٣٥٠، وسنن الدارقطني ١٦٥/٢ .

٣٠- رواه البخاري برقم ١٩٢١ .

٣١- المحلى ٢٣٢/٦ .

٣٢- الطلاق: ٢ .

٣٣-٣٤- المحلى ٢٣١/٦ .

٣٥- رواه البخاري برقم ٥٢ .

٣٦- احكام القرآن، لابن العربي ٩٣/١ .

٣٧- مجمل اللغة ج.

٣٨- في الأصل الشمس، ولعله خطأ.

٣٩- تفسير القرطبي ١٩٤/٢ .

٤٠- في الأصل متغمة، ولعله تصحيف.

٤١- معالم السنن ١٠٦/٢ .

٤٢- السنن الكبرى ٢١٨/٤ .

٤٣- العلل لابن ابي حاتم ٢٥٧/١ .

٤٤- تهذيب السنن ٢٣٣/٣ .

٤٥- شرح معاني الآثار ٥٣/٢ .

٤٦- شرح معاني الآثار ٥٢/٢ .

٤٧- تهذيب السنن ٢٣٤/٣ .

٤٨- ليست في الأصل، واضفتها ليتم الكلام.

٤٩- عمدة القارئ ٢٩٩/١٠ .

٥٠- الاساس في التفسير ٤٢٥/١ .

٥١- الهداية ١٢٢/١ .

٥٢- القوانين الفقهية ٨١ .

٥٣- المجموع ٣٠٤/٦ .

٥٤- المغني ٣/٣ .

٥٥- الافصاح ٢٤٤/١ .

٥٦- البقرة: ١٨٥ .

٥٧- احكام القرآن ٩٢/١ .

٥٨- تفسير ابن كثير ٢٢٣/١ .

٥٩- رواه البخاري برقم ١٩٥٤، ومسلم برقم ٨١ .

٦٠- رواه البخاري برقم ١٩٥٥، ومسلم برقم ١١٠١، وابو داود برقم ٢٣٥٢، واحمد في مسنده ٣٨٠/٤، وعبد الرزاق في المصنف برقم ٧٥٩٤، وابن ابي شيبة في المصنف ١١/٣-١٢، وابن حبان ٣٥٠/٢، والبغوي في شرح السنة رقم ١٧٣٤، والبيهقي برقم ٢١٦/٤ .

٦١- شرح صحيح مسلم ٢٠٩/٧ .

٦٢- احكام الاحكام ٢٣٢/٢ .

٦٣- شرح صحيح مسلم ٢٠٩/٧ .

٦٤- المصنف ٢٢٦/٤ .

٦٥- عمدة القارئ ٤٤/١١ .

٦٦- المصنف ١٣/٣ .

٦٧- الموطأ ١٥٨/٢، مع شرح الزرقاني.

٦٨- المجموع ٣٦١/٦-٣٦٢ .

٦٩- الأم ٩٧/٢ .

٧٠-٧١- المجموع ٣٦٢/٦ .

١

# الاتجاهات الحديثة عند المستشرقين الإيطاليين

## في الكتابة عن الرسول ﷺ والسيرة النبوية

## المستشرقة الإيطالية ريتا دي ميليو نموذجا

■ بقلم الدكتور محمد مختار المفتي

❖ تعريف موجز بالكاتبة الإيطالية الدكتورة ريتا دي ميليو:

**ولدت المفكرة الإيطالية ريتا دي ميليو في جزيرة اسيكا بخليج نابولي في إيطاليا، وتخرجت من كلية الآداب بجامعة روما، درست اللغة العربية قصد التعرف على الإسلام ومبادئه والقرآن وأحكامه، وأصبحت أستاذة الدراسات الإسلامية بجامعة روما، ثم متخصصة في الشؤون الإسلامية والعربية، وتعمل الآن أستاذة لدراسات الشرق الأوسط والعالم الإسلامي بجامعة روما، كما عملت لفترة طويلة خبيرة في الشؤون الإسلامية بوزارة الخارجية الإيطالية، وتشارك الدكتورة ريتا ميليو أيضا في العديد من الأعمال الخيرية بدولة إريتريا، وهي تعدّ مستشرقة منصفة للإسلام والمسلمين.**

ألفت كتابا خاصا عن الإسلام بعنوان: "الإسلام ذلك المجهول في الغرب"ولها كتاب حديث عن دور المسلمين في إثراء الحضارة الغربية، وتنقل الدكتورة ريتا دي ميليو إلى طلابها في الجامعة، رسالة الإسلام الحقيقي ومساهمات الفكر الإسلامي في بناء الحضارة الإنسانية.

وعندما بدأت تقدم وجهة نظرها

المحايدة والمنصفة للدين الإسلامي وللمسلمين، تفاجأت بحالة الاندهاش التي انتابت الكثيرين ممن قرأوا عن كتاباتها أو استمعوا لشهاداتها حول الإسلام، فالطلبة الذين درّستهم، أعربوا عن دهشتهم الشديدة ولم يصدقوا في بداية الأمر، أن المسلمين سبقوا الغرب في الكثير من الاكتشافات الطبية والهندسية، وحتى في علوم الاجتماع والنفس، وبعض طلبتها أبدوا انزعاجا شديدا بسبب رؤيتها الجديدة للإسلام، وسرعان ما تسرب الخبر للقائمين على أمر الجامعة، قبل أن يصل للتيارات الصهيونية والشيوعية التي رفضت وجود أي صوت محايد للدين الإسلامي، وبدأوا في التحرش بها بشكل مباشر،فرضوا عليها ابتداء تدريس مناهج محددة مسبقا، ثم أجبرت على تقديم الرؤية الغربية التي تدين الإسلام، وعندما رفضت تدريس تلك المزاعم ضغطوا عليها حتى نجحوا في استفزازها لتقدم استقالتها، وفوجئت بقبولها بأسرع ما يمكن، فجأة دون مورد رزق لها، وهو ما دفعها للسفر إلى المملكة العربية السعودية، وافتتحت محلا لحياكة ملابس النساء، رغم ذلك لم تقطع صلتها بالعمل الأكاديمي،حيث قامت باغتنام تلك الفترة التي قضتها في المنطقة العربية لدراسة طبيعة الإنسان العربي المسلم وطبيعة الحياة في المجتمعات الإسلامية، واكتشفت أن المسلمين ما زالوا يحتفظون بالكثير من القيم الإسلامية، ومن أبرزها قيم الحياء وتحريم العلاقات غير المشروعة.(أنظر: صحيفة الشرق القطرية ٢٠٠٩/٣/١٦).

### ❖ مضمون كتابها:

في كتابها **"الإسلام ذلك المجهول في الغرب: الدين الإسلامي في ضوء القرآن والسنة"**، هذا الكتاب في مجمله جديد على الثقافة الأوروبية، فهو صادر من أوساطها ويتكلم بإحدى لغاتها، ورغم أنه بدا محايدا في عرض الإسلام كحضارة وثقافة، إلا أنه ربما للمرة الأولى يقدمه على أنه دين سماوي يقف على قدم المساواة مع الأديان السماوية الأخرى، بعد أن كان الغرب والمستشرقون على وجه خاص، يعتبرون أن الإسلام في أفضل الظروف طائفة منشقة عن المسيحية وخارجة عليها. أما في هذا الكتاب فإن ريتا دي ميليو تعلن منذ بداية سطوره أنها سوف تكتب عن الدين الذي تحبه وتحترمه، وتعمل على تبليغ محتواه لمن لم يعرف، ليس لأنها تعمل في مجال الدعوة بل لما ترى من تعرض الإسلام إلى ظلم

كبير من جانب من لم يعرفه.

وفي أول فصل منه بدأت بعرض لحياة الرسول ﷺ وأبرزت فيه المؤلفة الخصال التي اشتهر بها قبل البعثة النبوية مثل الصدق والأمانة، كما عرضت لحال المجتمع العربي قبل نزول الإسلام، وكيف جاء هذا الدين لكي يصلح الكثير من الأمور التي كانت تضرب في أساس هذا المجتمع، وليحوله من مجتمع بدوي بدائي إلى واحد من أعظم الحضارات التي شهدها التاريخ.وأكدت أن محمدا ﷺ هو نبي الله ورسوله وأن رسالته منزلة من السماء، وألمحت إلى أن أول من اعترف بنبوة محمد ﷺ كان مسيحيا، وهو ما استغله مفكرون آخرون، ليقدحوا في النبوة ويشككوا فيها عندما اعتبروا أن محمدا ﷺ لم يكن إلا قسا متمردا «وبينت في مقدمة كتابها أنها أقدمت على تأليف هذا الكتاب كشهادة محبة من قبل إنسانة مسيحية لكل مسلم، وذلك بتقديم فكرة شاملة عن العقيدة الإسلامية كما يمارسها معظم المسلمين، وحرصت في فصل الجهاد من الكتاب التأكيد للقارئ الأوروبي أن القرآن الكريم يقول فيما معناه: إنه لا ينبغي أبداً قتل الأطفال والأبرياء والنساء والشيوخ كبار السن. ووجهت سؤالا استنكاريا قائلة: هل دين يقدم مثل هذه التوصيات لأتباعه يستحق منا أن نربطه بالإرهاب؟

### ❖ كيف تفهم ريتا دي ميليو الإسلام؟

صحيفة الشرق القطرية التقتها على هامش مشاركتها في مؤتمر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الذي عقد بالقاهرة، وأجرت معها حوارا مطولا، جاء فيه: **لماذا درست اللغة العربية وكيف تعرفت على الإسلام؟** قالت ريتا دي ميليو: درست اللغة العربية لأنني أردت أن أتعرف على الإسلام عن قرب عن طريق قراءة تراثه باللغة الأصلية التي كتب بها، وقد تعرفت إلى الإسلام في بداية حياتي التي قضيت جزءا كبيرا منها في العديد من الدول العربية، حيث عمل والدي طبيبا في عدة مستشفيات بالدول العربية، وأعجبت بالإسلام كدين قويم يحث على الفضيلة والأخلاق والتعايش السلمي بين كل الناس، لا فرق بين أبيض وأسود، وعلى الرغم من أنني لم اعتنق هذا الدين العظيم، إلا أنه دخل إلى قلبي بشدة، ولعل هذا ما دفعني إلى تأليف كتاب خاص عن الإسلام، حاولت من خلاله أن أعلم تلاميذي في الجامعة الكثير عن الإسلام الحقيقي ومساهماته في بناء الحضارة الإنسانية،

وقد أقدمت على كتابة هذا الكتاب كشهادة محبة من قبل إنسانة مسيحية لكل مسلم وذلك بتقديم فكرة شاملة عن العقيدة الإسلامية كما يمارسها معظم المسلمين.

**سألتها الصحيفة: كثير من الغربيين يعترضون على مسألة الحدود الإسلامية ويعتبرونها دليلا على عنف الإسلام فكيف تنظرين أنت للأمر؟** قالت: للأسف الشديد فإن الغرب تعود على التسامح مع الجناة أكثر من اللازم وهو ما أدى إلى انتشار جرائم الشذوذ وزنا المحارم وكل فنون العري والإباحية،أضف إلى ذلك جرائم القتل.

فمثلا مؤخرا قتلت إحدى السيدات بسيارتها فتاة تونسية عمرها ١٣ عاما، ولم تدخل السجن إلا لمدة يومين، خرجت بعدهما تقود السيارة لتقتل وتصيب آخرين، وهناك فتاة قتلت أمها وأخاها ودخلت السجن لمدة ست سنوات قضتها في لعب الرياضة، وخرجت بعدها وكأنها لم تزهق روحين بريئين، وهكذا فإن الغرب تعود على مسامحة الجاني وهو ما أدى إلى نشر الجريمة، ولهذا يستغربون أيضا موضوع الحدود في الإسلام، ولكنني شخصيا أفضل العقوبات الإسلامية، فلو أن قاتلا واحدا حكم عليه بالقتل، فسوف تختفي على الفور كل جرائم القتل حتى الخطأ منها،لأن الجميع سيفكر ألف مرة قبل التساهل في التعامل مع أرواح الناس، فالعقاب الشديد مهم في بعض الأحيان.

**سألتها الصحيفة كسيدة مسيحية تعيش في إيطاليا، كيف ترين العلاقة بين المسيحية والإسلام في الدولة التي تحتضن الفاتيكان رمز الكنيسة الكاثوليكية في العالم؟** أجابت: الإسلام هو الدين الثاني من حيث الانتشار في إيطاليا، فهناك أكثر من مليار ونصف المليار مسلم في العالم، ويجب ونحن نناقش أبعاد العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الإيطاليين أن نفرق بين المثقفين وغير المثقفين.

فالمثقف الإيطالي مثل غيره من المثقفين في الغرب من القارئين الجيدين لمختلف الثقافات العالمية، ومنها الثقافة الإسلامية، وهؤلاء يتعاملون معاملة راقية مع المسلمين، أما الجهلاء المتأثرون بالدعاية العالمية السلبية التي يتعرض لها الإسلام في الفترة الأخيرة، فبالطبع يكون تعاملهم مع المسلمين تعاملا غير إنساني وغير حضاري، فهم يرون أن كل مسلم هو إرهابي أو مشروع إرهابي على أقل تقدير، وللأسف فإن معظم الإيطاليين ليس لديهم أي معلومات كافية عن حقيقة الإسلام،

ومعظم الإيطاليين بل معظم الغربيين لا دينيين، ولهذا لا يقبلون بوجود متدينين بأي دين بجانبهم.

**والسؤال الذي أحرص على طرحه على كل المنتديات الغربية التي أشارك فيها: ألا يعد استهدافنا للمقدسات والرموز الدينية الإسلامية بالسخرية نوعا من أشرس أنواع الإرهاب؟** وألا يعد حرص الغرب على نشر الإباحية والفواحش في العالم الإسلامي نوعا من أنواع التطرف الفكري المرفوض؟ فلماذا نثير اشمئزاز المسلمين الذين ما زالوا متعودين على العفة والحياء؟ على الجانب الآخر فإنني أدعو كل مسلم إلى التمسك بدينه والعمل على نشر حقيقة الإسلام السمح، حتى يدرك العالم كله أن المسلمين لا يمكن أن يكونوا أشرارا، وأن وجود عدد قليل من المسلمين المتشددين أو المتطرفين، لا يجب أن يسيء إلى هذا الدين العظيم.

**سألتها الصحيفة: كيف تنظرين إلى الخلط الواضح من قبل الغرب بين الجهاد كفريضة إسلامية وبين الإرهاب والعنف؟**

قالت المستشرقة الايطالية الدكتورة ريتا دي مايو: يجب أن ندرك أن أحد أهم أسباب انتشار ذلك الخلط يعود إلى إحجام الحكومات الإسلامية عن نشر حقيقة الجهاد في الإسلام باللغات غير العربية، وأنا شخصيا رغم أنني غير مسلمة وجدت عند قراءتي المتعمقة أن هناك اختلافات جذرية بين الجهاد والإرهاب، فالجهاد يبدأ من جهاد النفس وصرفها عن فعل السوء، كما أن الجهاد المسلح كأمر مسموح به في الإسلام له شروط عديدة، لعل أبسطها هو ضرورة أن يدعو له الحاكم المسلم وليس أي شخص آخر، ولو نظر كل إنسان في العالم إلى مسوغات الجهاد في الإسلام لعرف أن الجهاد لا يعني الإرهاب بحال من الأحوال.

فالجهاد مثلا هو حق من حقوق كل من احتلت أرضه من قبل شعب آخر أو دولة أخرى، فلماذا يصفون في الغرب المقاومة الفلسطينية بأنها إرهابية؟ وإذا كان ما يقولونه صحيحاً، فلماذا اعتبروا العمليات التي شنها الفرنسيون ضد جيش ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية مقاومة فرنسية؟ ولماذا خصصوا لها صفحات عديدة في التاريخ الأوروبي ليبرزوا عظمة تلك المقاومة؟ الحقيقة أن إصرار الغرب على وصف العمليات الاستشهادية الفلسطينية بأنها إرهاب، لهو من قبيل التناقض الذي أرفضه، فالفلسطينيون لا يملكون السلاح اللازم لمواجهة العدوان

الإسرائيلي، ولهذا فإن لجوءهم إلى تفجير أنفسهم في المحتل الصهيوني، هو عمل عسكري شريف يحث عليه الإسلام، ولا يستطيع أي عاقل أن يصفه بالإرهاب.

**فطالما أن الفلسطيني لا يملك سوى هذا العمل، فهو أمر يدخل تحت نطاق الجهاد الذي أباحه الإسلام، وحتى لو مات أبرياء نتيجة العمليات الاستشهادية، فهذا جزء من طبيعة الحرب، والحال نفسه بالنسبة للمحتل الأمريكي في العراق،** وقد حرصت في فصل الجهاد في كتابي على التأكيد للقارئ الأوروبي أن القرآن الكريم يقول فيما معناه: إنه لا ينبغي أبداً قتل الأطفال والأبرياء والنساء والشيوخ وكبار السن، فهل دين يقدم مثل هذه التوصيات لأتباعه يستحق منا أن نربطه بالإرهاب؟والغريب أن اليهود ظلوا دائما يلقون معاملة حسنة طوال فترة عيشهم تحت الحكم الإسلامي، ولكنهم لا يردون هذه المعاملة بمثلها اليوم، وإنما كان أسلوبهم دائما الغدر ونقض العهود، ومن المسؤول عن إثارة البغضاء والكراهية بين الغرب المسيحي والشرق المسلم؟

بلا جدال فإن الصهيونية العالمية لعبت دورا كبيرا في إثارة الحقد والبغضاء بين الغرب والعالم الإسلامي، من أجل تحقيق مصلحة إسرائيل في التوسع والتمدد والبقاء، ويمكن للمسلمين والمسيحيين التغلب على تلك المخططات من خلال تفعيل إرادات الشعوب وإرادات القيادات السياسية من أجل دعم جهود الحوار وإزالة البغضاء والكراهية.

**سألتها الصحيفة: كمستشرقة معاصرة هل ترين أن الاستشراق لعب دوراً سلبياً في تشويه علاقة الغرب بالإسلام؟** أجابت ريتا دي ميليو: يجب أن نتعامل مع قضية الاستشراق بإنصاف شديد، فنقول: إنه كان هناك في الماضي مستشرقون من الغرب نظروا إلى الإسلام نظرة محايدة ووصفوا الإسلام بحيادية شديدة، ولكن على الجانب الآخر كان هناك مستشرقون أساءوا للإسلام وأساءوا لعلاقته بالغرب، وساهموا بلا شك في الأزمة الكبرى التي نعاني منها اليوم بين الغرب المسيحي والشرق المسلم، فهؤلاء المستشرقون لم يقدموا الإسلام بصورته الحقيقية، ومثلما كان الحال في الماضي فإن الموقف اليوم لم يتغير، فهناك مستشرق محايد ومستشرق غير محايد، ولكن بشكل عام فإن الواقع يؤكد ضرورة أن يدلي المسلمون بدلوهم في هذا الأمر، من أجل أن يساهموا في دعم جهود المستشرقين المحايدين، ولا مانع من أن يمد العالم الإسلامي هؤلاء بالمواد

العلمية والأكاديمية التي تساعدهم في التغلب على أصحاب النظرية التصادمية من خلال تقديم الصورة الحقيقية للإسلام، ولا مانع من أن يقيم المسلمون في الشرق المؤتمرات العلمية التي يدعون إليها المستشرقين المحايدين ويمنحونهم الفرصة لدراسة الإسلام عن قرب.

**سألتها الصحيفة: كيف تلقى الأوروبيون كتاباتك ورؤيتك المنصفة عن الدين الإسلامي؟**

قالت الدكتورة دي ميليو: أولا لا بد أن نعرف أن معظم الأوروبيين يجهلون حقيقة الدين الإسلامي ودوره العظيم في إثراء الحضارات الإنسانية، بل ودوره العظيم في وصول أوروبا لهذه النهضة الحضارية الكبيرة، ولكن للأسف فإن الإعلام الغربي الذي يدين معظمه بالولاء لجهات غير محايدة، نجح في تصوير الإسلام على عكس حقيقته، وفي ظل عجز الإعلام العربي والإسلامي عن تقديم الصورة الحقيقية للإسلام بالطريقة وباللغات التي يفهمها الأوروبيون، توطن في اعتقاد الكثير من أبناء أوروبا أن المسلم إنسان همجي وإرهابي يجب الابتعاد عنه كثيرا، وأنا شخصيا عندما بدأت أعلن وجهة نظري المحايدة والمنصفة للدين الإسلامي وللمسلمين، فوجئت بحالة الاندهاش التي انتابت الكثيرين ممن قرأوا كتاباتي أو استمعوا لشهاداتي حول الإسلام.

فالطلبة الذين أقوم بتدريسهم، أعربوا عن دهشتهم الشديدة ولم يصدقوا في بداية الأمر أن المسلمين سبقوا الغرب في الكثير من الاكتشافات الطبية والهندسية، وحتى في علوم الاجتماع والنفس، وبعض طلبتي أبدوا انزعاجا شديدا بسبب رؤيتي الجديدة للإسلام، وسرعان ما تسرب الخبر للقائمين على أمر الجامعة، قبل أن يصل للتيارات الصهيونية والشيوعية التي رفضت وجود أي صوت محايد للدين الإسلامي، وبدأوا في التحرش بي بشكل مباشر، ففي البداية بدأوا يفرضون عليّ تدريس مناهج محددة مسبقا، بحيث أجبر على تقديم رؤيتهم التي تدين الإسلام، وعندما رفضت تدريس تلك المزاعم ضغطوا علي حتى نجحوا في استفزازي لأقدم استقالتي، وفوجئت بقبولها بأسرع مما كنت أتخيل لأجد نفسي فجأة دون مورد رزق وهو ما دفعني إلى السفر إلى منطقة الخليج حيث أقمت في المملكة العربية السعودية وافتتحت محلا لحياكة ملابس النساء، وسبحان الله فقد فوجئت بإقبال المرأة الخليجية على التعامل معي وكلما عرفت سيدة من سيدات المجتمع بحكايتي، أفاجأ بها تأتي لي بمزيد من

السيدات ليس هذا فحسب بل كن يجزلن لي في العطاء، لدرجة أنني كسبت من مهنة الحياكة في سنوات قليلة أضعاف أضعاف ما كسبته من عملي في الجامعات الإيطالية لسنوات طويلة، ولكنني رغم ذلك لم أقطع صلتي بالعمل الأكاديمي حيث قمت باستغلال تلك الفترة التي قضيتها في المنطقة العربية لدراسة طبيعة الإنسان العربي المسلم وطبيعة الحياة في المجتمعات الإسلامية، واكتشفت أن المسلمين ما زالوا يحتفظون بالكثير من القيم الإسلامية، ومن أبرزها قيم الحياء وتجريم العلاقات المحرمة ولعل هذا هو ما ساهم في حماية كافة المجتمعات الإسلامية من تفشي الكثير من الأمراض المعدية والخطيرة كما هي الحال في أوروبا.

**ثم سئلت: كيف وجدت المرأة المسلمة عندما تعاملت معها مباشرة في المجتمعات الخليجية؟** أجابت الدكتورة ميليو: لقد وجدت امرأة تختلف تماما عما يتم الترويج له عبر وسائل الإعلام الغربية التي تقدم المرأة العربية المسلمة مجرد كيان جسدي للرجل العربي المسلم وقتما يحتاج، ولا وظيفة لها سوى التزين انتظارا لرجل يدور على نسائه الأربع، والأمر الذي قد يثير الكثيرين أنني جئت إلى المنطقة العربية وأنا في ذهني تلك الرؤية حول المرأة المسلمة، ولهذا دهشت للغاية عندما فوجئت بصورة أخرى غير التي رسمتها، فقد وجدت المرأة العاملة المثقفة والجميلة والقادرة على التواصل مع الآخرين بسهولة، وكذلك وجدت المرأة سيدة البيت التي تحمل قدرا كبيرا من الثقافة، فلا يعني أبداً وجودها في المنزل أنها جاهلة أو ما شابه، بل وجدت أن هناك الكثيرات يحملن شهادات عالية، وبعضهن يحملن الماجستير والدكتوراه، بل إنني وجدت من تناقشني حول التاريخ الإسلامي ودور الإسلام في تنوير أوروبا، وسمعت من النساء العربيات اللاتي قابلتهن معلومات مدهشة حول التاريخ الأوروبي، قد لا تكون الكثير من نساء أوروبا يعرفن عنها شيئا وهو ما يعني أن المرأة العربية، تعرضت لظلم بيّن وواضح في الإعلام الغربي الذي لم يعطها حقها.

**سئلت الدكتورة دي ميليو: كيف يساهم المسلمون في تقديم الصورة الحقيقية للمرأة في الإسلام؟** قالت: أولا لا بد أن يعي المسلمون أن تعامل الإعلام العربي تجاه المرأة وقضاياها كان سلبيا، وهو ما ساهم في نشر المغالطات الغربية، علما بأن هناك عدة محاور يمكن للإعلام

الخوض فيها وإظهار الصورة الحقيقية لمساهمة المرأة العربية المسلمة من خلال مشاركتها في شتى الجوانب وخاصة الحياة الاقتصادية، والتي تعتبر مشاركة المرأة العربية فيها إنجازا كبيراً لتحسين ظروفها المعيشية ولزيادة مساهمتها في عملية التنمية عامة، كما كان للإعلام العربي مواد غنية تجاهها ولم يعمد إلى بثها أو عمل الدعاية الإعلامية لها، ومن هنا فعلى الإعلام العربي أن يلعب دورا واقعيا في نقل الصورة الحقيقية لمساهمة المرأة العربية في مناحي الحياة على الصعيد السياسي والثقافي والاجتماعي، حيث إن الغزو الإعلامي الغربي ساهم كثيرا في تقديم صورة باهتة.

**سألتها الصحيفة: من وجهة نظرك ما السبب في انتشار المعلومات المضللة عن الإسلام والمسلمين في الغرب؟** أجابت: دعنا في البداية نعترف أن المسلمين قصروا كثيرا في حق أنفسهم عندما تركوا الساحة للإعلام المضلل ينشر المعلومات المضللة عن الإسلام، دون أن يحاولوا كبح جماح ذلك التضليل، وعندما انتبه المسلمون لذلك كان السيف قد سبق العذل، وأصبحت المجتمعات الغربية أرضا خصبة لنشر كل المفاهيم المغلوطة عن الدين الإسلامي، وأصبح المواطن الغربي لديه حصانة خاصة ضد أي محاولات لتصحيح الصورة، وبالطبع نحن نعرف جيدا أن الصهيونية العالمية هي أهم طرف من الأطراف التي عملت وتعمل على تشويه صورة الإسلام، لإدراكها أن تحسن العلاقة بين الغرب والمسلمين لن يصب في صالح إسرائيل، حتى وإن كان سيصب في صالح الإنسانية كلها، وأنا شخصيا كثيرا ما ناديت وسائل الإعلام الغربية، بأن تكون صحافة سلام، تعني بنشر الأخبار التي تبشر بالسلام لا بالحرب، وتعمل على إعادة ربط الأخبار وتقييمها بصورة فاعلة، فللأسف الشديد أن وسائل الإعلام الغربية تكاد تهتم فقط بأعمال العنف، ولا تعير أعمال السلام اهتماما، ورغم أنه من الضروري بالطبع فضح كل ما هو سيئ، لا يكاد المرء يسمع شيئا عن الإيجابيات في وسائل الإعلام الغربي.

**ومن الأسئلة التي وجهتها الصحيفة للدكتورة دي ميليو: كيف يواجه المسلمون هذه المغالطات بصورة إيجابية؟** قالت: مشكلة العرب والمسلمين أن تصرفاتهم بطيئة للغاية، خاصة عندما يتعلق الأمر بالمواجهة الثقافية، فعلى سبيل المثال لي كتاب حديث عن دور المسلمين في إثراء

الحضارة الغربية.

ورغم أنني سلمت كل فصول الكتاب للناشر منذ فترة ليست بالبسيطة، فإن الناشر وحتى هذه اللحظة لم يقدم على طبع الكتاب رغم أنه استعجلني كثيرا قبل أن أسلمه الكتاب، لدرجة أنني تخيلت أن المطبعة في الانتظار، ورغم أنني تسلمت كل مستحقاتي عن تأليف هذا الكتاب إلا أنني حزينة لأن البطء العربي في مواجهة السرعة الغربية يعني نشر مزيد من المعلومات المغلوطة عن الإسلام في الغرب، ولهذا لا بد أن يتخلص المسلمون من الروتين الذي سيطر على كل تصرفاتهم ولا بد أيضا أن يواجهوا المغالطات الغربية بنفس الطريقة وهي الإعلام، لأن الإعلام هو السلاح الوحيد الذي يملك العرب والمسلمون استخدامه اليوم لتحسين صورتهم ونشر حقيقة الدين الإسلامي السمح، فالعرب في حاجة فعلية للتخلي عن استخدام المصطلحات الضخمة، والبدء فورا في مخاطبة الغرب عبر سلسلة تحقيقات واقعية تستخدم اللغات الغربية كالإنجليزية والفرنسية والإيطالية وغيرها، وتقدم كل ما يتعلق بالمجتمعات الإسلامية بحيث يشعر الغرب بأن المجتمعات الإسلامية لا تختلف في شيء عن المجتمعات الغربية إن لم يكن تتفوق عليها في خلوها من الكثير من المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها الغرب بسبب الحرية المطلقة.

**سئلت المستشرقة ريتا دي ميليو: في رأيك من صاحب المصلحة في تشويه العلاقة بين الغرب المسيحي والشرق المسلم؟** أجابت: بلا جدال فإن الصهيونية العالمية لعبت دورا كبيرا في إثارة الحقد والبغضاء بين الشعوب المسيحية والمسلمين من أجل تحقيق مصلحة إسرائيل في التوسع والتمدد والبقاء، ويمكن للمسلمين والمسيحيين التغلب على تلك المخططات من خلال تفعيل إرادات الشعوب وإرادات القيادات السياسية، من أجل دعم جهود الحوار وإزالة البغضاء والكراهية، ولا بد للغرب أن يرى حقيقة الممارسات "الإسرائيلية" التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني الأعزل، ولن يحدث ذلك إلا إذا تفوق العرب في استخدام الآلة الإعلامية وأصبح لديهم خبراء في تحديد الطريقة المثلى لمخاطبة الغرب بلغة إعلامية صحيحة وقادرة على الوصول لعقلية المواطن الغربي. ( الشرق القطرية ٢٠٠٩/٣/١٦)

**يتبع في العدد القادم ان شاء الله**

# قطوف دانية

بقلم الطالبة آيات عبد الجبار

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ❖ اياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون﴾.

البقرة: ١٨٣-١٨٤

## دعاء رؤية هلال رمضان

كان النبي ﷺ اذا رأى الهلال قال:

«اللهم أهله علينا باليمن والإيمان، والسلامة والاسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربي وربك الله».

## الاعتكاف في رمضان

روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها انها قالت:

«ان النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده».

## فضل قيام ليلة القدر

عن ابي هريرة رضي الله عنه، ان رسول الله ﷺ قال:

«من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه».

## الخوف من الحساب

قالت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها:

«وددت اني كنت نسياً منسيا» وقالت: «وددت اني شجرة اعضد»، وقالت: «وددت اني لم أخلق»، وقالت عندما مرت بشجرة: «ياليتني كنت ورقة من ورق هذه الشجرة»، وكان هذا لخوفها الشديد رضي الله عنها من الحساب.

## اثقل شيء في الميزان

عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من شيء يوضع في الميزان اثقل من حسن الخلق، وان صاحب حسن الخلق ليبلغ درجة صاحب الصوم والصلاة».

## تعهد نفسك

تعهد نفسك في ثلاثة مواضع:

اذا عملت فاذكر نظر الله اليك

واذا تكلمت فاذكر سمع الله اليك

واذا سكت فاذكر علم الله فيك

## ايهما أولى بالعاصي

قال رجل للإمام ابن الجوزي رحمه الله:

أيهما أولى بالعاصي.. التسبيح أم الاستغفار؟

فقال: الثوب الوسخ أحوج الى الصابون منه الى البخور.

## سلسلة الأمراء من الهاشميين

# صاحب القانون الشريف محمد

## أبو نمي الثاني بن بركات

## أمير مكة نحو ثلاث وسبعين سنة

■ بقلم الدكتور نوح الفقير

**محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان، أبو نمي، نجم الدين، شريف حسني، ولد في مكة سنة (٩١١ هـ= ١٥٠٦م)، وقال العيردوس: (كان مولده سنة عشر وتسعمائة)[١]، يُعرف عند أشراف مكة بصاحب القانون؛ لأنه جمع أنسابهم، وجعل لهم فيها قانوناً.**

في سنة ثمان عشرة وتسعمائة (٩١٨هـ) وكان سنه إذا ذاك ثمان سنين، حصلت معه قصة عجيبة؛ إذ توجه الشريف أبو نمي بن بركات إلى مصر، ومعه من أعيان مكة، قاصداً منصب آبائه الكرام من السلطان الغوري، فلما وصلت أخبار خروجه من مكة، برزت الأوامر السلطانية لملاقاتهم على أحسن أسلوب، فلما وصلوا ضُرب لهم مخيم عظيم سلطاني، ثم نزل الشريف أبو نمي في أعظم خيمة من الخيم السلطانية، ثم دخل الشريف على السلطان الغوري وهو في الملابس الحسنة الحسنية، والأنوار النبوية مشرقة عليه، والعناية الصمدانية ناظرة إليه، تعجب من هيئته الباهرة، وامتلأت عينه بمهابته، وطلعته الطاهرة، فأمر أن ينصب له كرسي بمفرده.

فلما دخل الديوان قام له وقبل جبينه الشريف وقد زاده الله شرفاً، وأراد

الشريف تقبيل يد السلطان، فامتنع السلطان من ذلك أدباً مع المقام النبوي والجناب العلوي، فغلب على ذلك مولانا الشريف فاحتضنه، وسلّم عليه، وقربه لجانبه، وأقبل عليه بالمحادثة، ثم أجلس من معه من القضاة والأشراف، وجابرهم بخطابه العذب، وأنصفهم في الجلوس غاية الإنصاف، ثم أقبل على الشريف أبي نمي ووضعه في حجره، وقال له: ما اسمك؟ فقال: محمد أبو نمي الغوري! فحصل للغوري سرور عظيم بذلك، فقال له: أنت أشطر من أبيك، وقال له: ما سورتك؟ فقال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾[٢]، فأعجب السلطان ذلك وتفاءل به واستبشر، وهذا يدل على مزيد الحذق والذكاء، ولا عجب إذا صدر من سلالة المصطفى ﷺ، ثم استأذن في التوجه إلى الحجاز، وبرز من مصر على صورة جميلة مع إظهار الإنعامات السلطانية.

ولما وصل الخبر بقدومه زينت البلاد، وانشرحت صدور العباد، وخرج لملاقاته الأعيان من مكة، فدخلها رافلاً في نعم الله تعالى التي تفضل بها عليه، وعلى آبائه وأجداده، فلا زالت في أولاده ثم في أحفاده، فطاف بالبيت الحرام، ودعي له على زمزم أسوة آبائه الكرام، وقيل في ذلك:

جاء تال وفي السباقِ إمامُ
فرعُ غرسٍ ينمي إلى خير أصلٍ
وبنى المكرماتِ وهو فطامُ
سيدٌ أدركَ السيادَةَ طفلاً
ولك المدحُ مبدأ وختامُ
فابْقَ للملكِ والممالكِ عزّاً
وتغنت على الغصونِ حمامُ
ما توالَتْ عليك غُرُّ القوافي
وصحابٍ تحيةٌ وسلامُ
وعلى المصطفَى وآلٍ كرامٍ

أفضى ملك مصر والحرمين إلى مولانا السلطان سليم خان، وذلك في سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة (٩٢٢هـ)، وذلك بعد معركة مرج دابق بين الغوري والسلطان سليم، وفيها قتل الغوري، وكان السلطان سليم كثير المحبة لأهل الحرمين، وقد أبقى ولاية مكة للشريف بركات وولده

الشريف أبي نمي، كذا قال زيني دحلان[٣]، وقال العصامي: (وجهه أبوه الشريف بركات إلى السلطان الأعظم والخاقان الأكرم السلطان سليم خان.. فدخل مصر سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة (٩٢٣هـ)، فقابله بالعناية والرعاية، وأقر الشريف بركات على ما كان عليه من الولاية، وأبقى أبا نمي على مشاركة والده، فعاد أبو نمي قرير العين، وهي أول ولاية صدرت من العثامنة[٤]، استقل بأعباء السلطنة بعد موت أبيه، وكان استقلاله بها في سن عشرين سنة، فوصلت إليه المراسيم السلطانية السليمانية، فخمدت بولايته الفتن، وابتهج بملكه وجه الزمن، ولم يزل ممتعاً بمكارم الشيم، متقلباً في صنوف النعم، وقد رزق الذرية الصالحة، ودانت له رقاب الأمم)[٥].

وفي سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة (٩٣١هـ) توفي الشريف بركات، فاستقل الشريف أبو نمي بإمارة البيت الحرام، وعمره عشرون سنة[٦].

وقال العصامي: (لما كان موسم خمس وأربعين وتسعمائة (٩٤٥هـ) أرسل الشريف أبو نمي ولده السيد أحمد بن أبي نمي لمواجهة السلطان سليمان بن سليم خان، فوصل بالسلامة والعز والكرامة، واجتمع بالسلطان سليمان وجلس على يساره، فقابله بالإكرام، وعامله بالاحترام، وأشركه مع والده أبي نمي في ولاية مكة، وذلك سنة ست وأربعين وتسعمائة، وعاد بعد ذلك على أكمل هيئة فاخرة)[٧].

وفي سنة إحدى وستين وتسعمائة (٩٦١هـ) كان أمير الحاج فاجراً، فسولت له نفسه الهجوم على أبي نمي يوم عيد النحر، ليقتله هو وأولاده في ساعة واحدة، فظفروا به وأرادوا قتله، وجميع جنوده، لكن أبا نمي أشفق على الحجاج، فأمسك عن قتاله، ثم ذهب إلى مكة والناس في أمر مريج، فلم يزد ذلك الجبار إلا طغياناً، فنادى أن الشريف معزول، فلما سمعت الأعراب ذلك سقطوا على الحاج، ونهبوا منهم أموالاً لا تُعدُّ، وعزموا على نهب مكة بأسرها، واستئصال الحجاج، فركب الشريف واثخن في العرب الجراح، وقتل

البعض فخمدوا، واستمر ذلك الجبار بمكة حتى بطلت أكثر مناسك الحج، وقاسوا من الخوف والشدة ما لم يسمع بمثله، ثم رحل ذلك الجبار إذ أمر السلطان بعزله وقتله؛ قال بعض الصالحين من أهل اليمن: فخرجت من مكة في تلك الأيام إلى جدة، وأنا في غاية الضيق والوجل على الشريف وأولاده والمسلمين، فلما قربت من جدة قبل الفجر نزلت أستريح ساعة حتى يفتح سورها، فرأيت في النوم النبي ﷺ ومعه علي كرم الله وجهه، وفي يده عصى معوجة الرأس، وكان يضرب عن الشريف أبي نمي، ويقول: أخبره أنه لا يبالي هؤلاء، وان الله تعالى ينصره عليهم، فما مضت إلا مدة يسيرة وإذا الخبر يأتي من باب السلطان بغاية الإجلال والتعظيم للشريف؛ فنصره الله تعالى على ذلك المفسد ومن أغراه على ذلك، وعاد أمر المسلمين إلى ما عهدوا من الأمن الذي لم يعهد في غير ولايته.

قال العيردوس: (في سنة ثمان وثمانين وتسعمائة (٩٨٨هـ) بعد التسعمائة أجريت العين إلى مكة المشرفة، وكان قد سعى في ذلك الشريف أبو نمي والقاضي حسين- شكر الله سعيهما وجزاهما عن المسلمين خيراً- وبذلا في ذلك مالاً جزيلاً، وسبب ذلك أن عين مكة كانت انقطعت عنهم، ومكثوا كذلك مدة من الزمان، وتضرر أهلها بسبب ذلك جداً، وكان الرمل هو الذي سد مجرى الماء إليها، فتوجه الشريف القاضي إلى أصلاحها حتى عادت أحسن مما كانت)[٨].

وفي يوم النحر سنة خمس وخمسين وتسعمائة (٩٥٥هـ) وقعت فتنة بمنى بين أبي نمي، وبين أمير الحاج المصري المسمى محمود، وكان الشريف أحمد إذ ذاك قائماً بأمر المملكة عن والده بتفويض من السلطان سليمان، ونفر الأمير وجميع الحجاج من منى يوم النفر الأول قبل الزوال، فأراد بعض الحجاج العود إلى منى للرمي قبل فواته، فتعذر عليه ذلك، لانتشار الأعراب في الطرق ورءوس الجبال.

وكان الشريف أبو نمي جم الفضائل، حسن الشمائل، محمود السيرة، طاهر

السريرة، قطب زمانه بلا خلاف، عادل وقته فلا سبيل في زمنه إلى الاعتساف، له النثر الرفيع الفائق، والنظم البديع الرائق، وصفاته جامعة شتات كل فضيلة، وخصاله محمودة جميلة، وما زال منعم البال، ممتعاً بالأولاد والآل، مجتمع الشمل في سائر الأحوال، مكفي الأمور، دائم السرور، بقيام ولده الشريف حسن بأعباء الملك والخلافة، مظهراً في الرعايا عدله وإنصافه، سالمة ممالكه من المخافة، وكان صاحب خيرات متواترة، ومبرّات كثيرة متكاثرة، أسس لأبنائه معالم الكرم، وحثهم على شريف المناقب والشيم، نسج بينهم المودة على منوال الصفا، وحملهم على الصدق فيما بينهم والوفا.

وفي سنة أربع وسبعين وتسعمائة (٩٧٤هـ) طلب الشريف من السلطان تفويض الأمر إلى ابنه الشريف حسن، وأراد هو العكوف على العبادة، فجاء الأمر بالتفويض، وعكف الشريف أبو نمي على العبادة واجتناء العلوم.

توفي يوم عاشوراء سنة (٩٩٢ هـ- ١٥٨٤م) في وادي البيار من جهة اليمن، فحمل إلى مكة، وجهز وصلى عليه بعد صلاة العصر في المسجد الحرام عند باب الكعبة، وعمر الشريف أبي نمي ثمانون سنة وشهر واحد ويوم واحد، ومدة ولايته مشاركاً لأبيه ولولديه الشريف أحمد والشريف حسن، ومستقلاً نحو ثلاث وسبعين سنة.

وكان له جملة من الأولاد، منهم: أحمد والحسن وثقبة وبركات وبشير وراجح ومنصور وسرور وناصر وصالحة وشمسية وراية وغيرهم.

**الهوامش:**

١ . النور السافر عن أخبار القرن العاشر للعيردوس ج ١ ص١٢٤.
٢ . الفتح: ١.
١ . أمراء البيت الحرام أحمد دحلان ص٧٣.
٢ . الدولة العثمانية.
٣ . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي ج ٢، ص٤٣٦.
٤ . أمراء البيت الحرام أحمد دحلان ص٧٥.
٥ . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي ج٢، ص٤٣٦ .
٦ . النور السافر عن أخبار القرن العاشر للعيردوس ج١ ص١٢٤.
٧ . النور السافر عن أخبار القرن العاشر ج١ ص١٧٩ .
٨ . أمراء البيت الحرام أحمد دحلان ص٧٩ .

# التراث العربي الاسلامي ليس ناقصاً ولغة القرآن الكريم لن تموت بإذن الله

■ بقلم الاستاذ الدكتور سامي الصقار

**تصدر في لندن جريدة عربية بعنوان «الشرق الأوسط» وفيها زاوية لكاتب عراقي اسمه خالد القشطيني، تحمل احياناً عناوين غريبة مثل: «اسماء عربية تثير الامتعاض»، المنشور في شهر أيلول ٢٠٠٧م، وآخر بعنوان «تراث ناقص» والمقصود به التراث العربي الاسلامي، وقد نشر في شهر تشرين الثاني ٢٠٠٩م، وقد فوجئت مؤخراً بمقال بعنوان: «هل ستموت اللغة العربية؟؟» المنشور يوم ٢٠١٠/٦/١٣م، وهو عنوان منقول عن جريدة انجليزية روّج له بعض الكتاب البريطانيين، واتخذه السيد خالد عنواناً لزاويته.**

وإنني اعترف بأنه دافع عن اللغة العربية، لكنه أخذ بالرأي الأجنبي القائل: بأن اللغة العربية بحاجة الى تبسيط قواعدها، وضرب لذلك مثلاً بضرورة إلغاء «نون النسوة» والتخلي عن حرف الألف في صيغة المثنى، وردد الاتهام الاجنبي في قول القائل: «استطيع ان أتصور رجلاً يعتنق الاسلام، ثم يواجه صعوبات اللغة، فهجره الى دين آخر»!!.

في الواقع ان هذا القول خيال، لا يحلم به الا من يضمر العداء للاسلام وللغة العربية، لا شك ان الاسلام، وقد بلغ عدد

المؤمنين به أكثر من «مليار مسلم» ومع ذلك لم نسمع ان أحداً من معتنقيه، ارتد عن دين الله القويم بسبب اللغة «بل ولأي سبب آخر» ومع ذلك فلن يضر الاسلام ان يهجره من يهجره لهذا السبب التافه، فجميع المسلمين يقرأون القرآن الكريم بحروفه العربية، حتى الأتراك الذين كتبوه في زمن أتاتورك، بحروف لاتينية واقتصر ذلك على المؤسسات الحكومية، وأما المواطن التركي، ويعد منهم ٩٩٪ من الأتراك، فيصرون على قراءته بحروفه العربية، وتواصل المطابع التركية بطباعته بتلك الحروف، وتتفنن بإخراجه بأحسن صورة.

ومن الغريب ان الكاتب القشطيني، لم يقل كلمة واحدة عن الصعوبات في اللغة الانجليزية، رغم انها «لغة الشذوذ» لكثرة ما فيها من خلافات في النطق عما هو مكتوب بالحروف، وأذكر أننا في العراق كنا نبدأ بتعلم اللغة الانجليزية في الصف الخامس الابتدائي «ويبدأ تعليمها في المدارس الأهلية في الصف الثالث» وكان المدرسون يبدأون درسهم بقولهم: إن هذه اللغة هي لغة الشذوذ» وعلى المتعلم ان يتوقع ذلك في كل سطر منها، خاصة وأنها ليس فيها قواعد في «التصريف» وأمثاله، من ذلك مثلا اذا اردت ان تكتب «فعلاً ماضياً أو مضارعاً» فليس لديك قاعدة واحدة تطبق على جميع الأفعال، فمثلاً في فعلي «القراءة والكتابة» فإن فعل المضارع فيهما هو « Read و Write» اما في الفعل الماضي فإن الأول يبقى على حاله «Read» اما في الفعل الثاني فيصبح «Wrote» في كلتا الحالتين لا ينطبق حرف «W» وهناك تركيبة «ion» فهي تلفظ أحياناً «شن» في مثل كلمة «Action» بينما تلفظ في كلمة «Division» بصوت «جن» ولا أريد الاستطراد ولكن على المتعلم ان يتوقع ذلك في كل سطر منها، خاصة وليس هناك قاعدة تتبع في مثل هذه الأحوال.

كما ان هناك كلمات تتفق في اللفظ، وتختلف في التهجئة، مثل كلمة «Low» ومعناها الواطئ وكلمة «Law» بمعنى القانون، وهناك ايضاً كلمة «Right» وتعني اليمين عكس اليسار، ولها معنى آخر هو «الحق» من الحقوق، وهناك كلمة «Let» بمعنى السماح لفعل شيء، وما أشبه، وكلمة «Late» بمعنى التأخر عن الموعد

وما أشبه، ثم هناك اختلاف النطق بحرف واحد هو «G» بصوتين مختلفين في بعض الكلمات مثل «Large» اذ يلفظ بالجيم، لكنه في كلمة «Great» يلفظ بصيغة الكاف الفارسية «گ» ولو أردت ان استطرد بذكر الأمثلة لكان في وسعي ان اورد مئات الأمثلة لهذا الشذوذ في لغة الانجليز، لذلك كان حرياً ان يقال عن تلك اللغة: «هل ستموت اللغة الانجليزية؟».

اما بالنسبة لقول القائل: ان العربية الفصحى بشكلها الحالي لم تعد لغة عملية، والزعم بأنها قد نبذها العلماء والأطباء، اذ لم يعودوا قادرين على استعمالها الذي لا يتسنى لغير المتخصصين بها، والذين اصبحوا كالسحرة والكهان!! ولا شك ان هذا القول باطل، لأن اللغة العربية بقواعدها «من نحو وصرف» هي المستعملة في الكتابة سواء في الميادين الرسمية، أم في المكتبات الخاصة، وهي لغة التعليم، والصحافة والاذاعة والتلفزيون، وكلها تقوم بلا شك على اتباع القواعد النحوية والصرفية وليس هذا بدعة، وانما هناك لغات اوروبية فيها أحكام مماثلة بتغيير حركة الحرف الأخير في الكلمات تبعاً لموقعها الاعرابي.

**وقد اكتشفت ذلك بنفسي، وذلك عندما عينت في أوائل الستينات من القرن الماضي سفيراً للعراق في يوغسلافيا وبلغاريا في آن واحد،** اذ وجدت اسماً بصيغة «تيتو» وهو اسم رئيس الدولة في يوغسلافيا السابقة، كما وجدت صيغة «تيتا» الى جانب صيغة أخرى هي «تيتم»، فظننت ان هناك ثلاثة اشخاص هذه اسماؤهم، ولكنني ما لبثت ان اكتشفت انهم شخص واحد، هو المارشال «تيتو» ولكن الصيغة تختلف باختلاف موضع الاسم في الجملة، فعلمت انهم يسمون الشارع الرئيسي في العاصمة بلغراد «مارشالا تيتا اولسة» وهنا قد حور الاسم بسبب موضعه الاعرابي، فصار «تيتا» كمضاف اليه، ثم صيغة «تيتم» اذا كان مفعولاً به، وهكذا.

وعلى اي حال، اود ان أقول للقارئ الكريم: ان مسيرتي الثقافية الطويلة التي بدأت في عام ١٩٣٩م، عندما اختارتني الحكومة العراقية، ضمن طلاب البعثات، وارسلتني الى الجامعة الامريكية في

بيروت، وقد اندهشت اذ رأيت الاساتذة الامريكان وعوائلهم كلهم يتكلمون العربية بطلاقة، «رغم ان لغة التدريس هي الانجليزية» وعلى رأسهم رئيس الجامعة «الدكتور بيارد دوج» الذي لم يكتف بالحديث والقراءة باللغة العربية فاختار تحقيق كتاب «الفهرست» الموسوعي لمؤلفه ابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥هـ-٩٩٠م، بل كثيرين من الدبلوماسيين الامريكان يحسنون العربية تكلماً وكتابة، واذكر منهم السفير الامريكي في قبرص «وقد سبق ان عمل في العراق» وقد قتله الارهابيون من القبارصة اليونانيين، لأنه قد تعاطف مع الاتراك «المؤسف انني نسيت اسمه بحكم تقدمي في السن».

كما ان عدداً من السفراء الامريكان الذين خدموا في السعودية، كانوا يجيدون الحديث بالعربية، كما رئيس جمهورية البوسنة من هذا القبيل، اما المسلمون الايرانيون والأفغان والباكستانيون والهنود، والاندونيسيون، والعناصر التركية في اواسط آسيا، وأهل البوسنة، فقد واصل علماؤهم التأليف باللغة العربية، والتحدث بها في المؤتمرات الاسلامية والعربية.

والجدير بالذكر ان اقليم «كاشغر» الذي فتحه القائد العربي قتيبة بن مسلم، سنة ٩٥هـ ٧١٣م، وقد احتلته الصين لسعته، اذ هو اكبر الاقاليم التابعة لها، وأغناها بالثروة المعدنية، وبالأخص الزراعي، أقول: هذا الاقليم لا يزال مصراً على كتابة لغته، «وهي من العائلة التركية» بالحروف العربية، رغم ان جميع الاقاليم الاخرى التي كانت تابعة لروسيا تكتبها بالحروف الروسية!.

**هذا وهناك حقيقة أخرى ينبغي الالتفات اليها، وهي ان مسلمي الهند قد أنشأوا برئاسة سلطان «حيدر آباد» منذ اكثر من مائة عام، «دائرة المعارف العثمانية» التي نذرت جهودها لنشر أمهات الكتب العربية التراثية، «ليس الكتب الدينية فقط» وانما كتب التاريخ والأدب ايضاً.**

واتذكر في هذه اللحظة نشر كتاب «تاريخ البخاري الكبير» وكتب البيروني العلمية وكتاب «المنتظم» في التاريخ الاسلامي، لابن الجوزي، بأجزائه الكثيرة، وكتابه الآخر المسمى «صفوة الصفوة» وكتاب «لسان الميزان» لابن حجر، وكتابه

الآخر المسمى «الدرر الكامنة» و «تاريخ جرجان» لحمزة السهمي، و «جمهرة اللغة» لابن دريد و «تاريخ دول الاسلام» للذهبي، وكتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر، ولو اردت الاستمرار في سرد هذه الانجازات، لطال هذا المقال كما انني لم اتعرض لنشر كتب كثيرة أخرى، نشرت في الهند في غير سلطنة حيدر آباد، وهي كثيرة.

كما ان العلماء الهنود كثيراً ما عقدوا المؤتمرات المخصصة لبحث موضوعات اسلامية، سواء في الهند أو في الباكستان، وتكون العربية هي لغة البحوث والمناقشات، وقد سبق لي ان نشرت في مجلة «هدي الاسلام» مقالاً عن «دور مسلمي الهند في النشاط العلمي الاسلامي»، وذلك في العدد التاسع من المجلد رقم (٤٩)، هذا وينبغي ان لا ننسى جهود رؤساء علمائهم وعلى رأسهم أبو الأعلى المودودي.

وأعود الى زاوية السيد القشطيني، وما حوته من انتقادات للغة العربية بالنسبة لنحوها وصرفها، وهي انتقادات تعسفية مرتجلة، ولقد لمست غنى العربية من خلال سيرتي الدراسية في جامعات ثلاث مختلفة الجنسية، ومختلفة المشارب، وهي جامعة بيروت الامريكية سالفة الذكر، وجامعة القاهرة، حيث درست الحقوق، ثم جامعة كمبرج البريطانية، حيث حصلت على الدكتوراة، ولم يصادفني أحد في هذه الجامعات الثلاث، من ينتقد اللغة العربية بالشكل الوارد في زاوية القشطيني.

وانني اذكر جيداً في عهد تلمذتي على الدكتور شارل مالك، استاذ الفلسفة في الجامعة الامريكية، وكان يحسن خمس لغات على الاقل يحسنها قراءة وكتابة ونحواً وصرفاً، وعُرف عنه الحماس والإعجاب بنحو اللغة اليونانية وفلسفتها، ويكتب في مقالاته ما يفيد ان الفلسفة الاسلامية اذا ما قيست بالفلسفة اليونانية، فتبدو مثل طفل يعبث على شاطئ المحيط!! ولكنه عند الحديث عن اللغات، فإنه يؤكد ان اللغة العربية هي الوحيدة التي تقوم قواعدها النحوية على صيغ منطقية، وذلك بوجود «المسند والمسند اليه» وآلة الجمع بينهما سواء كانت منطوقة أو مقدرة، مما لا مثيل له في اللغات الأخرى، وكذلك فإن الحروف

العربية كلها منطوقة، والتصريف يجري في مختلف الكلمات، وفق قواعد مضطردة، مما نفتقده في اللغة الانجليزية كما أسلفنا.

والآن أعود الى السيد القشطيني وعنوان زاويته «هل ستموت اللغة العربية؟» وأقول له: انها لغة القرآن وموتها لا سمح الله معناه موت القرآن الذي قال فيه سبحانه وتعالى: **﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾** الحجر: ٩، والذكر هو القرآن الكريم، وقد ورد الذكر بهذا المعنى في نحو عشرين موضعاً من القرآن الكريم، مما يدل على جلال الذكر وأهميته، وهو في الأساس كلام الله عز وجل، ولغته ليست عرضة للموت والزوال، ويكفي انه رغم نزوله قبل ما يزيد على (١٤) قرناً يتسم دائماً بالجدة والحداثة وأحكامه صالحة لكل زمان ومكان، ولذا فإن العنوان الذي اقتبسه الكاتب من مجلة «الايكونومست» البريطانية اقل ما يقال فيه: انه يجرح مشاعر المسلمين في طول العالم وعرضه، وكان الأجدر بالسيد القشطيني ان يتصدى للدفاع عن اللغة العربية، خاصة وأن استاذ اللغة العربية في جامعة أكسفورد ينفي أفول اللغة العربية بحالتها الحاضرة، بل يدل حالها على حيويتها، وقدرتها على التطور والتعامل مع جميع الظروف الجديدة، وهو ما يؤيده مبدئياً السيد القشطيني، لكنه مع ذلك سرعان ما يتهم المثقف العربي برفض التطور، ويقول عنه: «يتردد في تطويع لغته وتبسيط قواعدها، فيبقى متمسكاً بنون النسوة ورفع المثنى بالألف» على حد قوله، ثم انه لم يدلنا على الأسلوب الذي يقترحه هو للتطور والتطويع، غير أنه سرعان ما يكشف عما سبق ذكره بالغاء «نون النسوة ورفع المثنى بالألف» كما أسلفنا، وينسى ان القرآن الكريم حافل بهذه النون، وبالتثنية بالألف والظاهر أنه يريدنا إلغاء «سورة الرحمن» الزاخرة بهذا المثنى، سواء بالأفعال والأسماء في قوله تعالى: **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾** التي تكرر ذكرها في هذه السورة أكثر من ٣٠ مرة.

اما بالنسبة لنون النسوة، فلا أدري كيف سيقرأ ما ورد في سورة النساء التي تضم المفردات من أمثال: «كنَّ ولهنَّ» وقوله تعالى: **﴿.. يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن..﴾**، وما اليها من

كلمات مثل (يتوفاهن، وتعضلوهن، وكرهتموهن، واحداهن، وبهن) وغيرها من تعابير مماثلة، وكأن الأمر مجرد لغوي، وينسى ان هذه اللغة هي لغة القرآن الكريم، ولغة المسلمين الذين يبلغون المليار عدداً، ومع ذلك لم نسمع ان احداً منهم قد تخلى عن دين الله القويم، بسبب اللغة أو لأي سبب آخر، حتى لو وجد أحد قد تخلى عن الاسلام، لهذا السبب أو لغيره، فلن يضير الاسلام هجر من يهجره، لذلك السبب التافه.

فجميع المسلمين بحمد الله يتلون القرآن الكريم بحروفه العربية، وحتى الأتراك الذين كتبوه بحروف لاتينية، واقتصر ذلك على المؤسسات الحكومية، اما المواطن التركي فيصر على قراءته بحروفه العربية، وتواصل المطابع التركية على طباعته بنصه الأصلي، وتتفنن في إخراجه بأجمل صورة وأبهاها، كما اسلفنا.

ثم ان اللغة العربية بمنطوقها في العصر الجاهلي، قد وفّت بحاجات المجتمع الجاهلي، كما وفت بعد ذلك بحاجات المجتمع الاسلامي خلال (١٤) قرناً، وهي من المرونة قادرة على الوفاء بحاجات العصر الحاضر المستجدة، وخير مثال على ذلك هو تدريس العلوم الطبية في جامعة دمشق باللغة العربية.

**والتراث العلمي العربي، قادر على تزويدنا بمخزون علمي لا حدود له وبالمصطلحات العلمية، ويضع في أيدينا القواعد لاستحداث المفاهيم الجديدة بالاشتقاق الذي قد تنفرد به لغة الضاد، وكان حرياً بالسيد القشطيني ان يسفه القائلين بإمكان «موت» اللغة العربية، وتذكيرهم بلغاتهم التي خلت مما في اللغة العربية من خصائص التصريف بالاشتقاق، بدلاً من اقتباسه قول الأعداء عن هذه اللغة المقدسة، وكان حرياً به الدفاع عنها وبيان مزاياها في زاويته اليومية في جريدة «الشرق الأوسط».**

ان من واجب كل عربي ومسلم ان ينافح عن هذه اللغة التي تشرفت بنزول الوحي بها، وانها لقيت من اجدادنا الطيبين كل عناية واهتمام، وخير دليل على ذلك ما صنفوه فيها من معاجم ضخمة تتألف من عشرات المجلدات، مما يؤكد غناها وقدرتها على الوفاء بحاجة الانسان، والله من وراء القصد.

٢

# المشروع الشامل للخطاب المنشود

■ بقلم الاستاذ سعيد الكرواني

**الخطاب الاسلامي الجديد ليس اعتذارياً، ولا يحاول ان يقول: نحن سبقنا الغرب في كذا وكذا، ولا يتحدث عن الأمجاد الغابرة، ولا يبذل دعاته مجهوداً كبيراً في محاولة تحسين صورة الاسلام في الخارج، ومع هذا لا يرفض حملة الخطاب الجديد الغرب بشكل قاطع، ولا يصورونه باعتباره مصدراً لكل الشرور.**

**فموقف الرفض الكامل للغرب، شأنه شأن القبول الكامل له يفترض الغرب مرجعية صامتة.**

كل ما يرفضه الخطاب الاسلامي الجديد في واقع الأمر، هو المركزية والعالمية التي يضفيها الغرب على نفسه «ويضفيها الآخرون عليه» كما يرفض الخطاب الاسلامي الجديد الامبريالية الغربية «المرتبطة بادعائه المركزية» واعمال النهب والقمع التي قام بها في الماضي، وتأخذ أشكالاً جديدة في الحاضر، لا تقل ضراوة عن سابقتها، وهو يرفض الجوانب السلبية في الحداثة الغربية ويدرك أزمتها تمام الادراك.

### ❖ الرؤية المتكاملة والانفتاح النقدي:

رغم ان الخطاب الاسلامي الجديد، يدرك ازمة الحداثة الغربية ويدرك انه لا يوجد اي مسوغ لارتكاب أخطاء الآخرين، وسلوك الطريق المسدود الذي أدى الى

أزمتهم، الا اننا نرى شيئاً آخر في الحضارة الغربية الحديثة، نعم.. لقد قرأنا الأرض الخراب لإليوت، ومسرحيات بيكيت، وروايات كامي العبثية، وكتابات دريدا العدمية، ونعرف ان الغرب قد بنى بنيته التحتية من خلال اعمال النهب «التي ادت الى التراكم الامبريالي وليس الى التراكم الرأسمالي كما يقولون» ولكننا نعرف -ايضاً- نظريات المعمار الغربية، وكيفية استخدام الحاسوب، ونظريات الادارة المختلفة، والآفاق الواسعة التي فتحتها الحداثة الغربية، فنحن نعرف مزايا هذه الحداثة تماماً، مثلما نعرف انها يمكن ان توردنا موارد التهلكة، وندرك انها منظومة طرحت أسئلة محددة على العالم لا مناص من الاجابة عليها، فعقولنا ليست صفحة بيضاء، والبداية الاسلامية لا يمكن ان تكون من نقطة الصفر الافتراضية، ومن هنا تأتي ضرورة بل حتمية الاشتباك والتفاعل مع الحداثة الغربية واستيعاب ثمراتها، دون ان نُستوعب في منظومتها القيمية.

**باختصار شديد الخطاب الاسلامي الجديد، لا يرى اي مسوغ لاستيراد الحداثة الغربية بحلوها ومرها،** كما لا يدعو الى رفضها بحلوها ومرها، فهو يقف على ارضيته الاسلامية ويطور رؤيته وموقفه من الحداثة الغربية ثم ينفتح عليها ويوجه النقد اليها ويتفاعل معها، وهذا ما يمكن تسميته بالانفتاح النقدي التفاعلي، (على عكس الانفتاح السلبي المتلقي او الرفض الشامل المصمت الذي يتأرجح بينهما الخطاب القديم).

### ❖ خطاب جذري توليدي استكشافي:

الخطاب الاسلامي القديم، خطاب توفيقي تراكمي، وهذا نابع من تقبله لكثير من جوانب الحداثة الغربية، حيث يأخذ أجزاء جاهزة من المنظومة الاسلامية (دون ان يدرك ان الاسلام يقدم رؤية شاملة للكون) ثم يضيف هذا الى ذاك، اما الخطاب الجديد، فهو خطاب جذري توليدي استكشافي، لا يحاول التوفيق بين الحداثة الغربية والاسلام، ولا يشغل باله بالبحث عن نقط التقابل بين المنظومة الغربية الحديثة والمنظومة الاسلامية، فهو يبدأ من نقد جذري للحضارة الغربية الحديثة ويحاول اكتشاف معالم المنظومة الغربية الحديثة، (باعتبارها رؤية كاملة للكون) والامساك بمفاتيحها مع الاحتفاظ

بمسافة بينه وبينها، وهو يعود الى المنظومة الاسلامية بكل قيمها وخصوصياتها الدينية والأخلاقية والحضارية، ويستنبطها ويستكشفها ويحاول تجريد انموذج معرفي منها، يمكنه من خلاله توليد اجابات على الاشكالات التي تثيرها الحداثة الغربية، وعلى اي اشكالات اخرى جديدة، ويرتبط بهذا المنهج التوليدي المحاولات الحديثة الرامية الى تجديد الفقه من الداخل، فهي لا تنبع من محاولة فرض المقولات التحليلية الغربية على المنظومة الاسلامية، وانما تحاول ان تكشف المقولات الأساس لهذه المنظومة، ويتم التجديد من خلال التوليد منها هي ذاتها، باختصار شديد: الخطاب الجديد - انطلاقاً من ارضية اسلامية- يفتح باب الاجتهاد بالنسبة للمنظومة الغربية والموروث الثقافي الاسلامي.

### ❖ خطاب يصدر عن رؤية معرفية شاملة:

الخطاب الاسلامي الجديد، لا يقنع باستيراد الاجابات الغربية الجاهزة على الاسئلة التي يطرحها عليه الواقع، ويتسم بأنه خطاب شامل بالضرورة، فهو على المستوى الجماهيري يطرح شعار «شمولية الاسلام» ولكن على المستوى الفلسفي، يطرح شعار «رؤية الاسلام للكون» وهو يتعامل مع كل من اليومي والمباشر والسياسي والكلي والنهائي، اي ان الخطاب الاسلامي الجديد، يصدر عن رؤية معرفية شاملة يولد منها منظومات فرعية مختلفة: اخلاقية وسياسية واقتصادية وجمالية، فهو منظومة اسلامية شاملة تفكر في المعمار والحب والزواج، والاقتصاد وبناء المدن والقانون وفي كيفية التحلي والتفكير، وفي توليد مقولات تحليلية مستقلة، **ولذلك فالخطاب الاسلامي الجديد لا يقدم خطاباً للمسلمين فحسب وانما لكل الناس، حلاً لمشكلات العالم الحديث، تماماً مثلما كان الخطاب الاسلامي أيام رسول الله ﷺ.**

### ❖ القدرة على الاستفادة من الحداثة الغربية:

بسبب انفتاح الخطاب الجديد بشكل نقدي تفاعلي على الحداثة الغربية، نجده قادراً على الاستفادة بشكل خلاق منها دون ان يستوعب فيها، فمقولات مثل: الصراع الطبقي، وضرورة التوزيع العادل للثروة، وقضية المرأة، وأثر البيئة على تشكيل

شخصية الانسان، قضايا كانت مطروحة داخل المنظومة الاسلامية، ولكن حساسية الخطاب الجديد وادراكه المتعمق لها، ازداد من خلال احتكاكه بالحداثة الغربية، كما انه لا مانع عند حملة الخطاب الجديد، من الاستفادة في اكتشاف آليات الحلول او حتى الحلول ذاتها، طالما انها لا تتناقض مع الأنموذج الاسلامي.

### ❖ القدرة على ادراك ابعاد انسانية جديدة:

لا شك ان الانفتاح على المنظومة الغربية، والتفاعل النقدي معها يجعل الخطاب الجديد مدركاً لأبعاد، كان من الصعب ادراكها دون هذا التفاعل، فمسائل مثل: العلاقات الدولية، والكوكبة والبعد الكوني في الظواهر المحلية، وخطورة الاعلام، وزيادة وقت الفراغ، واعمال التنميط التي تسمى الحداثة الغربية، أمور لم تكن مطروحة على الانسان من قبل، ومن ثم لم يطرحها الخطاب الاسلامي القديم.

### ❖ القدرة على اكتشاف الامكانات الخلاقة للمنظومة الاسلامية:

وقد اكتشف الخطاب الاسلامي الجديد، ان الانفتاح على الحداثة الغربية ودراستها بشكل نقدي خلاق، قد يفيد في تنمية الوعي النقدي، فمن خلال معرفة الآخر والتعمق في معرفته، سندرك الطريق المسدود الذي دخله، وحجم الكارثة التي يعاني منها، فنزداد معرفة وثقة بأنفسنا، وإدراكاً لذاتنا بكل ابعادها، وسيساعدنا هذا الموقف المنفتح النقدي التفاعلي، على اكتشاف الامكانات التوليدية الخلاقة داخل المنظومة الاسلامية.

### ❖ اسلامية المعرفة الانسانية:

كما يدرك الخطاب الاسلامي الجديد، ان العلوم الانسانية ليست علوماً دقيقة عالمية محايدة «كما يدعي البعض» وانها تحتوي على تحيزات انسانية عديدة تختلف بشكل جوهري عن العلوم الطبيعية، وانها لا تفقد قيمتها لذلك، بل انها تزداد مقدرة على التعامل مع ظاهرة الانسان، وينبع الاختلاف بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية، من ان الموضوع الأساس للعلوم الانسانية وهو الانسان في عالم الطبيعة/ المادة، ولذا فالخطاب الاسلامي الجديد يحاول ان يؤسس علوماً

انسانية لا تستبعد الانسان، ومن ثم فهي مختلفة في منطلقاتها وطموحاتها ومعاييرها عن العلوم الطبيعية، ولا نزعم انها محايدة منفصلة عن القيمة، بل تعبر عن المنظومة القيمية الاسلامية (وهذه هي اسلامية المعرفة).

ويدرك حملة الخطاب الجديد ما يسمى «العلم في منظوره الجديد» وهو علم يحتوي على مفاهيم مثل: اللامحدود، ولا يتحرك داخل اطار المفاهيم السببية الصلبة التي كان يتحرك العلم القديم في إطارها.

### ❖ تأسيس معجم حضاري متكامل ومستقل:

ويدرك الخطاب الاسلامي الجديد، ان مفردات المعجم الغربي ليست جزءاً من معجم لغوي فحسب، وانما هي جزء من معجم حضاري متكامل، فكلمة مثل «التقدم» تجسد مفاهيم، وتوجد داخل سياق حضاري مركب يحدد مضمونها ومعناها.

**ومن أهم ثمرات الانفتاح النقدي على الغرب،** ادراك تركيبة مقولة العقل والتناقضات الكامنة فيه، فكلمة «العقل» في المنظومة الاسلامية تحمل معنى محدداً، وقد تصور الجيل السابق «بسبب اعجابه بالحضارة الغربية ولعدم تملكه لناصية خطابها الحضاري» ان كلمة «عقل» في المعجم الفلسفي الغربي الحديث، مترادفة مع كلمة «عقل» في المعجم الاسلامي، ولذا كان هناك اعجاب عميق بالعقلانية الغربية وبفكر حركة التنوير الغربية، ولكن الخطاب الجديد على علم بالدراسات النقدية الغربية، في قضية العقل التي قامت بتقسيمه الى عشرات العقول: العقل الأداتي والعقل النقدي والعقل الوظيفي والعقل الامبريالي والعقل المجرد.. الخ، كما تتحدث هذه الدراسات عن «نفي العقل» و «تدمير العقل، و «تفكيك العقل» و «ازاحة العقل عن المركز»، ولذلك لم يعد من الممكن افتراض ان كلمة «عقل» وردت في المعجم الاسلامي مرادفة لكلمة «عقل» كما وردت في المعجم الغربي الحديث، ومع ظهور النزعات اللاعقلانية والعبثية في الغرب، اصبحت المسألة أكثر وضوحاً وتبلوراً.

### ❖ التمييز والفصل بين انجازات الغرب وبين رؤيته القيمية:

يدرك الخطاب الاسلامي الجديد، قضية انفصال العلم والتكنولوجيا والاجراءات الديموقراطية عن القيمة والغائية الانسانية، ويحاول هذا الخطاب حل هذه الاشكالات، فمثلاً في حالة انفصال العلم والتكنولوجيا عن القيمة، يحاول الخطاب الاسلامي الجديد الاستفادة من العلم والتكنولوجيا وكل ثمرات الحضارة الغربية، دون ان يتبنى رؤيتها للكون، بحيث يمكن مزاوجة الرؤية العلمية التي تدعي الحياد والمنظومة القيمية الاسلامية، بل ويسري الشيء نفسه على الديمقراطية، فمحاولة التمييز بين الديمقراطية والشورى، محاولة لاستيعاب الاجراءات الديمقراطية داخل المنظومة القيمية الاسلامية، بحيث لا تصبح الاجراءات الديموقراطية المتجردة من القيمة هي المرجعية، وحتى تظل الاجراءات وسيلة لا غاية.

### ❖ إدراك المكوِّن والبعد الحضاري للظواهر والأشياء المستحدثة:

يدرك الخطاب الجديد المكون الحضاري في الظواهر، فالخطاب القديم يقف عند حدود التمييز بين الحلال والحرام، فالسيارة والهامبرغر لا شك حلال، واللحم المعلب ان كان لا يحتوي على مكونات الخنزير حلال.. وهكذا، اما البعد الحضاري الكامن في السيارة، وانها وما حولها هي رؤية كاملة للكون، فهذا ما لم يدركه الرواد «وهذا ما لم يكن يدركه الانسان الغربي نفسه آنذاك» انظر الى السيارة على سبيل المثال حينما يدير المرء مفتاح سيارته، فهو لا يتعامل مع مجرد آلة توصله من مكان لآخر، بل يتعامل مع رؤية كاملة للكون يتطلب تسييرها البحث عن البترول، وشق بطن الارض وحمل البترول عبر البحار، وهو الأمر الذي يترتب عنه تلويث الجو والبر والبحر، ثم تؤسس مدن على اساس ضرورة تعظيم سرعة السيارة، فتهدم الأحياء التقليدية والمباني التراثية، وتصبح السرعة هي المعيار الوحيد للحكم على مدى صلاحية المدينة أو فسادها.. هكذا، وقل الشيء نفسه عن ساندوتش الهامبرغر والتيك آواي، فالمكون الحضاري الكامن في هذه السلع التي تبدو بريئة تماماً، وحلالاً بشكل قاطع، ولا غبار عليها من الناحية الدينية المباشرة، مرتبط برؤية للكون تقف على طرف النقيض من رؤية الكون الاسلامية، وهذا ما يدركه دعاة الخطاب الاسلامي

الجديد.

كما يتضح ادراك الخطاب الاسلامي الجديد، لأهمية المكون الحضاري في تقبله لفكر القومية، فحملة هذا الخطاب لا يجدون اي مسوغ للمواجهة مع الحركات القومية ذات التوجه العلماني، فالخطاب الاسلامي الجديد، يقبل التنوع الحضاري داخل اطار الوحدة الاسلامية العالمية، كما انه يدرك اهمية التحالف مع العناصر القومية في المواجهة العامة مع الامبريالية العالمية والنظام العالمي الجديد.

### ❖ من التنظير الى الممارسة:

**تأسيس رؤية اسلامية مستقلة في التنمية:**

الخطاب الاسلامي الجديد، مدرك تماماً لمشكلة لبيئة، وان مفاهيم مثل التقدم الدائم وغير المتناهي «وهي مفاهيم محورية في الحداثة الغربية»، معادية للطبيعة والانسان والحديد، وفي نهاية الأمر لله سبحانه، فهي مفاهيم كافرة، ومن هنا بحث الخطاب الجديد الدائب عن مناهج جديدة في الادارة وفي تطوير الدولة «وهي تعبير عن اهتمام الخطاب الجديد بالخصوصية».

ولعل من أهم القضايا التي تشغل الخطاب الجديد نظرية التنمية، ذلك بأنه يرى ان نظريات التنمية الاسلامية لا بد ان تكون مختلفة جذرياً عن نظريات التنمية الغربية، التي تروج لها المنظمات التي يقال لها: دولة، من حيث أثبتت فشلها في الممارسة، وهو الأمر الذي أدى الى الأزمة البيئية، ويرتبط بذلك نقد الخطاب الجديد للدعوة المستمرة الى الاستهلاك المتصاعد «ثورة التوقعات المتزايدة» وإدراكه لمدى خطورته على البيئة والمصادر الطبيعية وكيان الانسان النفسي.

### ❖ طرح النسبية الاسلامية بدل النسبية المطلقة:

كما ان الخطاب الاسلامي الجديد مدرك للقضية الفلسفية الأساس في العالم الحديث، وهي قضية النسبية المعرفية التي تؤدي الى العدمية، وهو يطرح في مقابلها ما أسماه «النسبية الاسلامية» التي تذهب الى ان ثمة مطلقاً واحداً هو الله سبحانه وتعالى، ولكن بسبب وجود الإله المطلق خارج الزمان والمكان والبشر، يصبح مركز الكون الذي

يمنحه الهدف والغاية والمعنى، وهو ما يعني ان العالم لا يسقط في النسبية المطلقة ومن ثم اللامعنى، فالنسبية الاسلامية - وهي نسبية نسبية- انطلاقاً من هذا- ثمة ادراك لتركيبتها الحقيقية ونسبية كثير من جوانبها وتغيرها وحركيتها، وثمة ادراك لما يوجد من تداخل بين المطلق والنسبي، وان الخطاب الانساني -اولاً وأخيراً- اجتهادات يقوم بها بشر داخل الزمان والمكان في محاولة دائبة لفهم كلام الله تبارك وتعالى.

### ❖ الايمان بالحركة والتدافع في الحياة:

كل ذلك يعني الايمان بفكرة التدافع وان العالم ليس في حالة جمود، وانما هو في حالة حركة، وليس التدافع صراعاً بالضرورة، حتى ان اخذ هذا الشكل احياناً، وثمة ايمان -ايضاً- بفكرة التداول، فالثابت لله جل جلاله وحده، ونحن لسنا بمفردنا في هذا العالم، كل هذا يعني في واقع الأمر قبول التعايش مع الآخر، واكتشاف الرقعة المشتركة معه، ومن هنا ظهر فقه الأقليات الحديث، سواء الأقليات غير المسلمة في المجتمعات الاسلامية أم الأقليات المسلمة في المجتمعات غير المسلمة، ويصدر هذا الفقه عن مفاهيم العدل والمساواة في الاسلام.

### ❖ إدراك مشكلات ما بعد الحداثة:

كما نجد في الخطاب الاسلام -ايضاً- ادراكاً لمشكلات ما بعد الحداثة، التي تتبدى في شكل الهجوم على كل النصوص الانسانية والمقدسة، بحيث يتحول القرآن الكريم «على سبيل المثال» الى نص تاريخي او تاريخاني كما يقولون، اي يمكن تفسيره بالعودة الى الظروف والمواضعات الزمنية.

ومن هنا يظهر ان اوجه الاختلاف بين الفقهاء في كثير من الأحيان، لا ينبع من تفسيرهم للنص، وانما من فهمهم للواقعة الانسانية التي يريدون اصدار الفتوى بخصوصها، هذه مسألة هامة لأنه في إطار ما بعد الحداثة ثمة هجوم على أي ثبات وأي معيارية لأن هناك إنكاراً لأي ركيزة نهائية.

### ❖ تجاوز الاطلاقات المتناقضة والسماح بالتعددية:

هناك محاولة لاكتشاف مقولات تحليلية وسطية، تميز الخطاب الاسلامي عن الخطاب الحداثي الغربي، الذي يتسم بالتأرجح الشديد بين قبضتين متنافرتين، فالخطاب الحداثي الغربي يطلب من المرء اما اليقين الكامل واما الشك الكامل، اما

ان يكون هناك عقل مطلق او اللاعقل على الاطلاق، اما ان يهيمن العقل تماماً أو يفكك العقل تماماً، اما ان تكون العقلانية المادية او اللاعقلانية المادية، على حين يحتوي الخطاب الاسلامي الجديد على امكان وجود فراغات او امكان التعددية وامكان الا يكون اليقين مطلقاً وألا يكون الشك نهائياً فهناك ما بينهما، اذ ليس مطلوباً من المرء ان يأتي ببراهين قاطعة مائة بالمائة، وان ترتبط حلقات السببية بشكل كامل شامل صارم، (وهو ما يسمى «السببية الصلبة» في الحداثة الغربية).

اذ يكفي ان يأتي الانسان بقدر معقول من البراهين والأسباب والقرائن، وان يربط الاسباب بالنتائج بشكل كاف وليس مطلوباً أن يكون بالضرورة صارماً، (وهذا ما سماه الدكتور عبد الوهاب المسيري «السببية الفضفاضة») وكلمة الفضفاضة يصعب ترجمتها، اذ ان المفردة التي تقابلها في الانجليزية هي Loose التي تعني منحلة او متفككة او كلمة Wide بمعنى عريض او فسيح، في حين تحمل فضفاضة في العربية معنى السماحة وعدم الترابط الذي يسمح بالحرية دون ان يسقط في التفكك بالضرورة.

والسببية الفضفاضة هي جوهر الرؤية المعرفية الاسلامية، التي تبين ان الألف لن تؤدي الى الباء حتماً مائة بالمائة، وعلى كل حال ولكنها ستؤدي الى ما تؤدي اليه بإذن الله، ذلك بأن «بإذن الله» هي المسافة التي تفصل بين الخالق والمخلوق، ولكنها هي التي تنشئ مجالاً يمارس فيه الانسان حريته، ومن ثم يصبح كائناً مسؤولاً حاملاً للأمانة، انها تأكيد لما يسمى في الفقه الاسلامي بـ «البينية».

### ❖ انزال الرؤية المتكاملة للشريعة على الواقع المعاصر:

ان الخطاب الاسلامي في المجتمعات الاسلامية التقليدية هو الشريعة، فالشريعة لا تزال هي الخطاب الاسلامي القديم والجديد، ولكن الخطاب الجديد يحاول ان يحل مشكلة ما يسمى بـ «ثنائية المصطلح» لأن الشريعة قادرة على توليد اجابات للأسئلة الكلية والنهائية التي يطرحها الواقع على الانسان المسلم عبر تاريخه، ولكن مصطلحات الشريعة «بسبب ظروف الانقطاع التاريخي والحضاري الذي سببه الغزو الاستعماري» اصبحت مغلقة بالنسبة الى الكثيرين، وما يحاوله

الخطاب الاسلامي الجديد هو فك شيفرة هذا المصطلح، بحيث يمكن استخلاص الحكمة الكامنة فيه وإنزالها الى الواقع المعاصر.

خذ على سبيل المثال قضية «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» حين تصير المصطلح الاسلامي للتعبير عن مشكلة المشاركة في السلطة، مما لا يعني ان هناك ترادفاً بين المفهوم الغربي والمفهوم الاسلامي للقضية، كل ما في الأمر ان هذه القضية الحديثة التي يعبر عنها بطريقة حديثة، هي ذاتها القضية التي توجهت اليها المنظومة الاسلامية من خلال مصطلحها الخاص، مثلها في ذلك كمثل الاجتهاد بما يساعدنا على زيادة المقدرة التوليدية للمنظومة الفقهية، كما سيساعد المسلمين على ترسيخ اقدامهم على ارضيتهم العقائدية.

### ❖ القدرة على صياغة انموذج معرفي اسلامي للاحتكام اليه:

ونظراً الى عزل الشريعة عن واقعنا السياسي والاجتماعي، اصبحنا نرى كما لو انها مجموعة من الأحكام والآراء غير المترابطة، ولكن توليد الاجابات يتطلب إدراكاً لترابط اجزاء الشريعة وتكاملها وكيف انها تعبر عن رؤية شاملة للكون، وهو الشيء الذي يحاول ان ينجزه الخطاب الجديد، ولا شك في ان مبحث المقاصد التقليدي يتعامل مع هذه القضية، ومن خلاله تكمن التفرقة بين الكلي والجزئي، والنهائي والمؤقت، والجوهري والعرضي، والثابت والمتغير، والمطلق والنسبي، وهذا ما نحتاج الى تطويره وتعميمه لنصل الى انموذج معرفي اسلامي نابع من القرآن والسنة، يأخذ شكل هرم على قمته شهادة ان لا إله الا الله، تليها القيم القطب مثل العدالة والمساواة، ثم تأتي بعد ذلك الأحكام الجزئية المختلفة، ومن ثم يمكن توسيع نطاق الاجتهاد دون خوف كبير من الزلل، اذ ان الاجتهاد سيتم في اطار الانموذج المعرفي الهرمي الذي تم استخلاصه «عبر الاتجاهات المستمرة» من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وسيكون هذا الانموذج وحده المعيار الذي يتم من خلاله اصدار الأحكام.

### ❖ تطوير رؤية شاملة للفنون الاسلامية:

الخطاب الاسلامي الجديد -نظراً-

الى شموله واهتمامه بالجانب الحضاري، وبرؤيته للكون يولي اهتماماً كبيراً للعنصر الجمالي والفني، فلا يكتفي بمقولتي: «حلال وحرام» على اهميتها، وانما يحاول ان يطور رؤية شاملة للفنون الاسلامية تستند الى الرؤية الاسلامية للكون، ومن هنا ظهرت المحاولات النظرية والتطبيقية الجديدة في مجال المعمار ومختلف الفنون، وهذا الجانب في الخطاب الاسلامي الجديد، تعبير عن الانفتاح النقدي الأخلاقي، فكثير من الفنانين الاسلاميين او المهتمين بالفن الاسلامي في العصر الحديث، تعلموا في الغرب او في الشرق على أسس غربية، ومع هذا فإنهم ينسلخون عن المنظومة الغربية، ويوجهون اليها النقد، ويستفيدون من المعرفة التي اكتسبوا في محاولة توليد رؤى فنية، تترجم الى مبان على طراز اسلامي تستجيب لمتطلبات العصر الحديث.

ويلاحظ ان هؤلاء الفنانين يدرسون التراث الفني الاسلامي من زوايا جديدة، ويعيدون اكتشافه واكتشاف أسسه النظرية، مستفيدين من آليات التحليل التي تعلموا في الغرب، كما طفقوا يهتمون بالكتابات الاسلامية التراثية في هذا المضمار.

### ❖ تجاوز المنظور الغربي في قراءة التاريخ:

ومن أهم جوانب الخطاب الاسلامي الجديد قراءة التاريخ، اذ ان هناك رفضاً لفكرة التقدم الخطي اللانهائي، ورفضاً للمفاهيم الخطية الواحدة unilinear التي تفترض وجود نقطة نهائية واحدة، وهدف واحد يتحرك نحوه التاريخ البشري بأسره، وهو الأمر الذي يفترض ضرورة رؤية تواريخ البشر من خلال منظار عالمي كما يدعى، وانما هو منظار الحضارة الغربية والمعيار هو معيارها.

وحتى ننتقل الى مستوى الممارسة والتنفيذ، ينبغي للمتخصصين والمهتمين ان يقدموا قراءة التاريخ الاسلامي من الداخل، دون استيراد مقولات تحليلية من خارج النسق، والقراءة هاهنا متعاطفة تفسيرية، ولكنها -ايضا- نقدية مما يمكن من قراءة وثائق لم يقرأها المؤرخون الغربيون، أو تراهم قرأوها وقاموا باستبعادها اما لعدم اهميتها في نظرهم، وإما لحاجة في انفسهم، ولذا فقد ينجح عمل الفريق في تقديم رؤى جديدة.

# الزكاة
# ودورها في معالجة مشكلة الفقر

■ بقلم الاستاذ إسماعيل محمد السعيدات

**الزكاة من أهم أركان الإسلام وفرائضه العظيمة، التي تسهم إسهاماً كبيراً في حل كثير من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات المسلمة؛ بسبب مصارفها المتعددة والمتنوعة والتي تشمل غالبية طبقات المجتمع، هذه المصارف التي لها دور بارز في القضاء على الجرائم المتعلقة بالاعتداء على المال، والقضاء على العديد من المشاكل كالفقر والتشرد والبطالة والتسول، هذه المصارف التي لم تخرج عن كونها مظهراً من مظاهر التعاون والتضامن والتكافل بين أفراد المجتمع المسلم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة: ٦٠ .**

فدور الزكاة في القضاء على الفقر غائب عن الكثير من أفراد المجتمع المعاصر، بسبب انشغال الناس عن التفكر في حكم مشروعية الزكاة وآثارها العظيمة في حياتنا، فهي قادرة على محاربة كل صور الحاجة والفقر والحرمان على مستوى العالم الإسلامي.

وإبراز الدور الايجابي للزكاة في القضاء على مشكلة الفقر مسألة تحتل مكاناً أصيلاً بين الموضوعات العملية الفقهية، إذ هو من مباحث فقه العبادات وما يترتب على القيام بفريضة الزكاة من أحكام وتشريعات وآثار، والتي احتلت مكانة مرموقة في أبحاث العلماء قديماً وحديثاً،

وقد تناولوها بشمول وسعة لا يتركان مجالاً للإضافة، إلا محاولة حسن العرض والترتيب.

**وفي هذه الدراسة سأتناول هذا الدور العظيم للزكاة وما يلازمه من مشاكل اجتماعية واقتصادية، والتي غفل الناس عن تمثل هذا الدور المهم في واقعهم العملي،** بسبب انشغال الناس في تحصيل الدنيا والسعي فيها، والتغافل عن الآخرة والعمل الصالح لها، والقيام بجميع ما أوجبه الله على العباد، ولأن الشريعة الإسلامية الكاملة جاءت لإسعاد البشرية وتحريرها من الظلمات إلى النور، والزكاة هي النور الإلهي للناس جميعاً، وهي البرهان على صدق الإيمان، وهي وسيلة من وسائل حفظ الدين الإسلامي وإرضاء رب العالمين، كما أنها من ناحية أخرى وسيلة من وسائل تماسك المجتمع، وتعميق معاني وأواصر المودة والمحبة بين أفراد المجتمع، والتي بدورها تحقق قوة وبنيان الأمة، وهذا الجهد في حقيقته ما هو إلا محاولة متواضعة يكتنفها كثير من النقص الناتج من عمل الباحث نفسه بصفته بشراً خطاءً ناقصاً.

### ❖ مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في حاجة الناس إلى إبراز دور الزكاة في معالجة مشكلة الفقر وما يلازمها من مشاكل اجتماعية واقتصادية عانت منها كثير من المجتمعات المعاصرة، باعتبار أن الزكاة نظام مالي يؤدي إلى خلق توازن بين طبقات المجتمع، والإسهام في تعميق المعرفة العلمية المنظمة للزكاة كعبادة وقربة إلى الله تعالى، وأجر ومثوبة عنده يوم القيامة، وتزكية للنفس وتطهيرها من آثار الحقد والحسد للعباد، وتجديد الوعي بها وبأهميتها المعاصرة في علاج كثير من الجرائم المتعلقة بالاعتداء على المال الذي يعتبر من الضرورات الخمس التي يجب المحافظة عليها، والتعرّف على الأدوار الحقيقية التي يمكن للإنسان القيام بها من خلال القيام بما فرضه الله عليه من زكاة وإخراجها إلى مستحقيها شرعاً لتحقيق المعاني العظمى والمقاصد السامية للزكاة.

### ❖ أهداف الدراسة:

**تهدف الدراسة إلى بيان ما يلي:**

١- إبراز الدور الايجابي للزكاة في معالجة مشكلة الفقر وما يلازمها من مشاكل اجتماعية واقتصادية، ليصار إلى العدالة في توزيع الزكاة على مستحقيها.

٢- بيان مدى إسهام الزكاة في توثيق الصلة بالخالق، وتطهير النفس من إتباع الهوى والشهوات، والميل عن طريق الهدى، وتحقيق أعلى درجات التقوى والإحسان، والتكافل الاجتماعي، والقضاء على مشكلة الفقر والجرائم المتعلقة بالمال وحفظه.

٣- الكتابة في موضوع له مساس بالواقع وحياة الناس وتنظيم صلتهم بالخالق المنعم عليهم والمستحق للعبادة.

٤- تطبيق العبادة وإخلاصها إلى رب العزة يقوي جانب التقوى في حياة الناس، ويمنعهم من ارتكاب الجرائم، والإصرار على الصغائر، ويعيد للأمة الإسلامية هيبتها وكرامتها وتميزها على سائر الأمم، بالدعوة إلى الله، والعبادة الخالصة.

### ❖ أسئلة الدراسة:

تجيب الدراسة عن الأسئلة الآتية:

١- ما المفهوم الشرعي للزكاة، ومدى حاجة الناس إليها؟

٢- دور الزكاة في معالجة مشكلة الفقر؟

### ❖ الدراسات السابقة:

ذكرت بعض الكتب الإسلامية التي تناولت العبادات، الكثير من الأحكام الشرعية المتعلقة بالزكاة، ولكنها غفلت عن إظهار الدور العظيم للزكاة في معالجة مشكلة الفقر وما يلازمها من مشاكل اجتماعية واقتصادية، ومن خلال الإطلاع على هذه الأحكام يمكن لنا ملاحظة واستخراج هذا الدور البارز بعد القيام بهذه العبادة حق القيام، وتلمسه يكون حقيقة عند من ذاق طعم الإيمان، وكانت حياته في صلة دائمة مع ربه لا تنقطع، كان في عبادة وتواصل مع رب العزة تبارك وتعالى.

### ❖ المنهجية المتبعة في هذه الدراسة:

اتبعت هذه الدراسة المنهج الاستقرائي للأحكام الشرعية المتعلقة بالزكاة ومعرفة الأدلة الجزئية والإجمالية والتفصيلية، ثم من خلالها يمكن إبراز دور الزكاة في معالجة مشكلة الفقر، وما يلازمها من مشاكل اجتماعية واقتصادية.

اشتملت الدراسة على: مقدمة تم من خلالها بيان مشكلة الدراسة وأهدافها وأسئلتها والدراسات السابقة والمنهجية المتبعة فيها ومطلبين: المطلب الأول: المفهوم الشرعي للزكاة، ومدى حاجة الناس إليها، والمطلب الثاني: دور الزكاة

في معالجة مشكلة الفقر، وخاتمة هي ما خلصت إليه هذه الدراسة من نتائج وتوصيات.

### ❖ المطلب الأول: المفهوم الشرعي للزكاة، ومدى حاجة الناس إليها:

**الزكاة لغة:** من زكا يزكو زكاءً بفتح الزاي بمعنى النماء، وبضم الزاي تعني ما أخرجه الله من الثمر، وتأتي الزكاة بمعنى البركة والطهارة والصلاح والنماء[١].

**عرفت الزكاة بتعريفات عدة من أهمها ما يلي:**

١- أنها "اسم لقدر مخصوص من مال مخصوص يجب صرفه لأصناف مخصوصة بشرائط مخصوصة"[٢].

٢- أنها "حق يجب في المال"[٣].

٣- أنها "اسم لجزء من المال شرط وجوبه لمستحقه بلوغ المال نصاباً"[٤].

٤- أنها "تمليك جزء مال عينه الشارع من مسلم فقير غير هاشمي ولا موالاة مع قطع المنفعة عن المملك من كل وجه لله تعالى"[٥].

من خلال هذه التعريفات يمكن القول: إن الزكاة قدر معلوم من المال الخالي من تعلق الديون به، المعد للنماء والبالغ النصاب تعطى للأصناف المستحقة لها في وقت معلوم، وتسمى كذلك بالصدقة وهي الزكاة المفروضة وليست صدقة التطوع، يقول الماوردي في ذلك: "الصدقة زكاة، والزكاة صدقة يفترق الاسم ويتفق المسمّى"[٦].

خلق الله العباد وقسم الرزق بينهم، فجعل منهم الغني والفقير، وابتلاهم في ذلك، وأمر الغني بشكر النعمة بأداء حق المال بالزكاة، ووجه الفقير إلى الصبر على بلاء الفقر، وعدم اللجوء إلى الطرق غير المشروعة في الحصول على المال والتعدي على أموال الآخرين.

من هنا برزت حاجة الناس إلى تشريع الزكاة، والحث على إخراجها، وتوزيعها بعدالة على مستحقيها، فهي قبل كل شيء ركن من أركان الإسلام يجب على المسلم أداؤها، لينال رضى الله ودخول الجنة، والنجاة من العذاب الشديد الذي أعده الله لمانع الزكاة في الدنيا والآخرة، في الدنيا بأخذها منه جبراً، وبالآخرة بالعذاب الشديد في نار جهنم.

**فالزكاة عون للفقراء والمحتاجين وسد لحاجتهم الأساسية وإغناؤهم عن الطلب والاستجداء،** لان الاستجداء لا يليق بكرامة

المسلم الذي كرمه الله وفضله على سائر المخلوقات، وفيها استغناء عن مد اليد إلى أموال الغير بالطرق غير المشروعة، وفي الزكاة تقريب بين طبقتين من طبقات المجتمع طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء، فإن الأبعاد التشريعية والاجتماعية للزكاة كبيرة في حياة الأفراد والجماعات.

**والزكاة فيها تربية للمشاعر النبيلة المتمثلة في مشاركة الفقراء المحتاجين والغارمين وابن السبيل مشاركة فعلية،** وتخفيف ما تعانيه من هموم وأوجاع ومتاعب من جراء الغرم وانقطاع السبل عن الوصول إلى الوطن.

**والزكاة تحقق أعلى درجات التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الإسلامي،** ووسيلة من وسائل تماسك المجتمع، فتجد المجتمع كله وحدة واحدة من خلالها يعطف الغني على الفقير فتسود أروع معاني التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

**والزكاة تطهر المجتمع من ظاهرة التسول،** وتحفز الناس على الحب والتواد والسعي للعمل الصالح، والعلم بأن اليد العليا خير وأحب إلى الله من اليد السفلى، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

والزكاة تحرر الإنسان من عبودية المال وتحرره من التعلقات المادية، فتدفعه إلى أداء الزكاة رغبة في فعل الخير وطلباً للأجر العظيم من الله تعالى.

**والزكاة تقضي على العديد من المشاكل ومن أهمها: مشكلة الفقر التي تدفع الناس إلى ارتكاب عدد من الجرائم من أجل تحصيل المال كالسرقة والسلب والنهب والغصب.**

فالزكاة من خلال معالجتها لمشكلة الفقر تربي النفوس على الحب والخير والبعد عن الشر والمعاصي، وتوجد في النفس رقابة ذاتية مبعثها الخوف من الله وخشيته ومراقبته في السر والعلن، والزكاة حاجتها في تطهير نفوس الأغنياء من الشح والبخل وتطهير نفوس الفقراء من الحقد والحسد.

### ❖ المطلب الثاني: دور الزكاة في معالجة الفقر:

الزكاة تسهم إسهاماً كبيراً في محاربة مشكلة الفقر، وتعاونها في ذلك وسائل أخرى مثل الصدقات التطوعية، والكفارات، وتحريم للربا والميسر

والتطفيف والاحتكار والغرر، والزكاة من خلال توزيع مصارفها توزيعاً عادلاً يتم القضاء على الفقر، وقيام توازن بين فئات المجتمع المسلم، واستمرارية الزكاة يضمن لها دوراً بارزاً في القضاء على الفقر، والتخلص منه كلياً على مرور السنوات لا جزئياً، والزكاة لها دور في بناء الموارد البشرية؛ لأنها حرب على البطالة والتسول، فمن خلال مصارفها يمكن إعطاء القادر العاطل ما يساعده على العمل.

والفقير كما نعلم هو الذي لا يملك قوت يومه، وتظهر حاجته للناس والمسكين الذي يملك قوت يومه، ولكنه لا يكفيه، ولا تظهر حاجته للناس، بسبب تعففه ومسكنته.

**وظاهرة الفقر تترك آثاراً سلبية على المجتمع منها آثار اجتماعية تتمثل بالتسول،** وعدم القدرة على الزواج واللجوء إلى ارتكاب الفواحش، والبطالة بالقعود عن البحث عن العمل وإيجاده، واللجوء إلى توفير المال بالطرق غير المشروعة، والاعتداء على أموال الناس بالباطل وبالسلب والنهب والغصب، وآثار ثقافية تتمثل بالجهل والتخلف، وشيوع الفوضى والفساد وفقدان الأمن والأمان، وانتشار الخوف والقلق والاضطراب في المجتمع، وبالتالي تفككه، والسيطرة عليه.

والزكاة مصدر مهم في استقرار أفراد المجتمع، وتحقيق التوازن بين الفقراء والأغنياء، وكما نعلم فالإسلام أعلن الحرب على الفقر منذ البداية بكل صوره وأشكاله، من خلال العديد من التشريعات الربانية والنبوية التي تقضي عليه، والفقر أمر خطير على المجتمع، وهو ابتلاء من الله.

**إن حل مشكلة الفقر لها دور بارز في القضاء على عدد من المشكلات المجاورة له من مثل: مشكلة التخلف، والجهل، والأمية،** من خلال إعطاء طالب العلم الفقير لكي يتعلم ما ينفعه ويدفع عنه الجهل، والمشاكل الصحية من خلال معالجة المرضى وتوفير العلاج لهم، ومشكلة التشرد والضياع من خلال توفير مساكن آمنة لهم، ومشكلة العنوسة من خلال مساعدة المقبلين على الزواج لتحصين أنفسهم ضد الوقوع في الفواحش، ومشكلة البطالة من خلال توفير فرص العمل حتى يتم القضاء على البطالة وزيادة الإنتاج، وبالتالي البعد عن

أسباب الانحراف نحو البحث عن المال بالسبل غير المشروعة.

**فالزكاة أعظم وسيلة للتضامن والتكافل الاجتماعي،** والزكاة تقضي على الفقر بكافة أشكاله، وتجعل العباد يسيرون في الطريق المستقيم، والابتعاد عما يغضب رب العالمين، كما أن الفقر يساعد الناس على التسول، وطلب اليد للناس وتحمل الاهانة من أجل جمع المال، والزكاة بدورها العظيم تدفع سبل الانحراف في المجتمع المسلم من: سرقة، ونهب، وغصب، وقطع للطريق، وتسول.

**الاسلام يعتبر الفقر آفة اجتماعية خطيرة تؤثر على سلامة المجتمع، وتعمل على تفكيكه،** وتنتشر فيه الجرائم، ويعم الفساد ويستشري، فكان لا بد من علاج ناجع له، والإسلام وضع له العلاج المناسب من خلال تشريع الزكاة، وتوزيع مصارفها توزيعاً عادلاً بين الأفراد المستحقين لها، وإشباع حاجاتهم الأساسية، وهذه الحاجة هي التي تدفعهم دائماً إلى التسول، واتباع الطرق غير المشروعة للحصول على المال، والذل والهوان للغير.

**وظاهرة الفقر لم تستطع الأنظمة الاقتصادية المعاصرة من القضاء عليها، ولكن الشريعة الإسلامية التي جاءت لإسعاد البشرية، وإخراجها من الظلمات إلى النور، وبسبب مواكبتها للمستجدات المعاصرة، وصلاحيتها لكل زمان ومكان، استطاعت إيجاد علاج مناسب للفقر، وشرعت وسائل عديدة من شأنها الحد منه، كالأمر بالوسطية في الإنفاق، والابتعاد عن مظاهر الإسراف، وتشريع الصدقات التطوعية للقضاء عليه.**

ولأن الشريعة الإسلامية تعتبر المجتمعات الفقيرة في حاجة إلى غيرها، وهذه الحاجة هي التي تورثها المذلة والهوان، والمسلم عزيز بعزة الله، والفقير ذليل لأنه في انقياد لغيره، فالإسلام حرص على تمييز المسلم عن غيره بالعزة والقوة اللتين تدفعانه نحو العمل الصالح والكسب المبارك.

ولقد أثبتت الزكاة فاعليتها في علاج مشكلة الفقر في تاريخ السلف الصالح؛ إذ كانت تؤخذ بتمام حقها وتصرف إلى مستحقيها، فأدت إلى القضاء على الفقر في وقت وجيز، وتواترت قصص وأخبار صحيحة عن أن بعض ديار المسلمين خلت من الفقراء، من هذه الأخبار: ما رواه البيهقي عن عمر بن أسيد أن عمر بن

عبد العزيز قد أغنى الناس حتى لا يجدون من يأخذ منهم مال الصدقة، وشهد بذلك يحيى بن سعيد حين قال: بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية (منطقة تونس)، فجمعتها وطلبت الفقراء أعطيها لهم، فلم أجد فقيراً يقبل أن يأخذ مني صدقة بيت المال، فاشتريت بها رقاباً وأعتقتهم بعد أن جعلت ولاءهم للمسلمين(٧).

## ❖ الخاتمة: خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

١- الزكاة هي البركة، والطهارة، والصلاح، والنماء، وهي اسم لقدر مخصوص من مال مخصوص يجب صرفه لأصناف مخصوصة بشرائط مخصوصة.

٢- الناس بحاجة ماسة إلى إخراج الزكاة، وتوزيعها على مستحقيها بعدالة، فهي تحقق غايات نبيلة، ومقاصد سامية كريمة في مجتمع الإسلام.

٣- مصارف الزكاة تسهم في تحقيق التكافل والتضامن الاجتماعي.

٤- الزكاة تعالج مشكلة الفقر وما يلازمها من مشاكل اجتماعية واقتصادية مجاورة لها، كالتشرد والضياع، والبطالة، والجهل، والعنوسة، والمرض، والانحراف، ولا بد من وضع علاج ناجع للفقر، حتى لا يستفحل خطره في المجتمع، وبالتالي لا يمكن القضاء عليه، ويعتبر الفقر آفة اجتماعية خطيرة تؤثر على سلامة المجتمع، وتعمل على تفكيك أركانه، فكان لا بد من علاج ناجع له، والإسلام وضع له العلاج المناسب من خلال تشريع الزكاة، وتوزيع مصارفها توزيعاً عادلاً بين الأفراد المستحقين لها، هذا وبالله التوفيق.

**الهوامش:**

(١) ابن منظور، لسان العرب، ١٣/٣٥٨-٣٥٩، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ١٦٦٧.

(٢) الشربيني، مغني المحتاج، ١/٣٦٨.

(٣) ابن قدامة، المغني، ٤/٥.

(٤) ابن عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي، ٢/٣.

(٥) ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار ٢/٢-٤.

(٦) الماوردي، الأحكام السلطانية، ١١٣.

(٧) السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز، قطب إبراهيم ٢٣٤.

# الصيام.. صحة أم تخمة

■ بقلم الاستاذة سهام ابو جودة

**ها هو شهر رمضان حل علينا ببركاته ونعمائه، والناس إزاءه أنواع، فمنهم من لا يرى فيه الا جوعاً لا تتحمله أعصاب معدته، وعطشاً لا تقوى عليه مجاري عروقه، ومنهم من يرى في رمضان موسماً سنوياً للموائد الزاخرة بألوان الطعام والشراب، وفرصة جميلة للسهر واللهو الممتد الى بزوغ الفجر، والنوم العميق في النهار حتى غروب الشمس، فإذا كان ذا معاملة ساءت معاملته، واذا كان موظفاً ثقل عليه أداء واجبه.**

**ومنهم -وهم الفائزون- من يرون في رمضان شهراً غير هذا كله، يرون فيه دورة تدريبية لتجديد معان في نفوس الناس من الخلق النبيل، والإيثار الجميل والصبر الكريم.**

وقد يحمل شهر رمضان الراحة الصحية لكثير من المرضى.. الا انه قد يبعث من جديد شكوى مرضية عند من لم يحسن الاستفادة من الصيام.

فقد قام بعض الباحثين بدراسة ميدانية لمن يعانون من سوء الهضم في رمضان، فقاموا باختبار (١٨٦٠) شخصاً من البالغين من الرجال والنساء، وبدأت الدراسة في آخر شعبان، وكان يشترط ان يكون هؤلاء أصحاء، لا يشكون من أعراض سوء الهضم المذكورة أعلاه، وقد ذهل الباحثون عندما وجدوا ان (١٢,٤٪) كانوا يعانون من سوء الهضم في الاسبوع الأول من شهر رمضان الكريم.

**فما السبب في ذلك رغم ما نعرف من ان الصيام هو خير علاج لسوء الهضم؟!!**

الحقيقة ان مرد ذلك هو العادات الشائعة في بلاد المسلمين، حيث يأكلون في رمضان اضعاف ما يأكلونه في غير رمضان! حيث تعمل السيدات جاهدات طوال الشهر الكريم لإرضاء شهوات الطعام لدى أفراد أسرهن، حيث يتفنن في صناعة أنواع الأطعمة والحلويات.

ومن الناس من يفرط في طعامه وشرابه، لا لسبب الا لإخماد لهيب القلق او الهم الذي يعيشه.. وهؤلاء يسببون لأنفسهم عسراً في الهضم وتلبكاً في الأمعاء، وهم بذلك يصرفون اهتمام جهازهم العصبي عن مشاكل الحياة اليومية، الى ما يعيشونه من متاعب الأمعاء والقولون، فيتعطل تفكيرهم، وينشغل بالهم بعملية الهضم، وهذا مصداق الحكمة القائلة: «البطنة تذهب الفطنة».

واذا كانت البطنة تذهب بالفطنة، فإن الصوم يقوي الفطنة ويحسن نشاطها، فلقد كان المفكر اليوناني سقراط يصف بالوحشية او بالهمجية الذين كانوا يتناولون أكثر من وجبتين غذائيتين في اليوم.. ترى ما عساه ان يصف متمدني العصر الحديث الذين يأكلون لذائذ الطعام في وجبات ثلاث وما بين الوجبات، وما تشتهيه الأنفس من مقبلات ومشهيات، ثم يخلدون للنوم على ضجيج المعدة والأمعاء، تتقلب على بعضها البعض مثقلة بما فيها من مأكولات، وما ان يستيقظوا في الصباح حتى يعودوا لتناول الطعام من جديد!!.

### ❖ الصوم وجهاز الهضم:

وقد تبدو فائدة رمضان من الناحية الطبية، لدى المصابين بالإلتهابات الهضمية المزمنة، وفي طليعتها الالتهاب المعدي المزمن، وهو أول من يستفيد من هذا الفرض الديني.. اذ ان الطعام يؤدي للإلتهاب ويزيده في شتى الحالات، والصوم يحمل الى هذه الشكوى راحة تمتد طيلة ايام الشهر، وتكون ذات أثر كبير في شفاء الالتهاب.

كما ان التهاب الأمعاء المزمن والتهاب القولون المزمن، يستفيدان من الصوم كثيراً، فإبعاد الغشاء المخاطي للأمعاء عن تماس الطعام مدة طويلة، يرمم الخلايا الملتهبة، ويقلل من افرازاتها المرضية الكثيرة، ويخفف سوائلها المخاطية، ويقدم معونة أساسية في شفاء هذه الإصابات المعوية المزمنة.

واذا كان الصوم يفيد في حالات الإلتهاب فإنه قد يزيد في آلام المصابين بالقرحة المعدية او الاثني عشر، فيثيرها اذا كانت هاجعة، اذ ان بقاء المعدة فارغة لدى المصاب بالقرحة لساعات طويلة، يجعل الإفراز المعدي الحامضي يتراكم في جوف المعدة الفارغة، وهذا الافراز يحتاج الى معدِّل يبدد فعله وأذاه، وقد اعتاد المريض ان يستخدم الأطعمة في فترات متعددة من اليوم لتعديل الحموضة الزائدة لمعدته.

واذا ما تتابع الافراز المعدي الحامضي في معدة فارغة، ازدادت آلام البطن واشتدت وعادت نوبة القرحة الهضمية في أخذ شكلها المعروف.

وللأسف فإن جهاز الهضم عند كثير من المسلمين، معرض لنوع من التعب الخاص، حيث يختص الطعام الشرقي بصعوبة الهضم لثقله وكثرة الدسم فيه، وتعقد أصول طبخه وتعدد أجزائه المخلوطة، وثقل هذا الطعام يحمل الى جهاز الهضم عبئاً شديداً خلال فترة مديدة من السنة، حتى يأتي شهر رمضان فيقدم راحة ضرورية لجهاز متعب.

### ❖ الصوم رحلة استجمام للمعدة:

الصوم يجلب الراحة للمعدة، ويتيح لها فرصة إصلاح ما أُتلف منها، والمعدة التي طالما تمددت أثناء عملها المفرط، تستعيد حجمها العادي، وتتكمش عندما تكون فارغة خلال فترة الصوم، ويسيِّر ما أصاب المعدة من متاعب والتهاب الى الشفاء بإذن الله.

ولا شيء يمكن ان يعيد النشاط لجهاز هضمي متعب، ولأمعاء منهكة وغدد مرهقة.. مثل الصوم الصحي، حيث انه

يعتبر بمثابة راحة استشفائية تهيئ جميع الظروف اللازمة للشفاء.. حيث ان المعدة العليلة او الضعيفة، تستفيد من فترة الراحة التي يتيحها لها الصوم، فتحسن من مستوى وظيفتها، وترفع من نشاط الغدد في جدارها، وتعود بعد الصوم الى العمل بحيوية أكثر.

### ❖ وصايا صحية:

غذاؤنا في رمضان ينبغي ألا يختلف كثيراً عما هو عليه في الأشهر الأخرى، بل ربما ينبغي ان يكون أبسط في مكوناته، وعلى الصائم ان يحرص على ألا يزداد وزنه في رمضان، بل ربما وجد البدين في رمضان فرصة ذهبية للتخلص من بعض وزنه.

وينصح الأطباء بمضغ الطعام مدة كافية، فهي الطريقة الوحيدة التي تمكن من الاستمتاع الحقيقي بالأكل وتذوق لذته، عملاً بالنصيحة المشهورة: «امضغ اللقمة الواحدة ثلاثين مرة، افضل من ان تبتلع ثلاثين لقمة».

وينبغي الحرص على تناول غذاء متوازن يحتوي على الخضروات واللحم وخاصة الدجاج والسمك، اما الأغذية المقلية فهي غير صحية، وينبغي تحديد تناولها، فقد تسبب عسر الهضم والحرقة وحموضة المعدة وازدياد الوزن.

والله تعالى من وراء القصد.

# خصائص ومميزات الصيام وشهر رمضان

■ بقلم الاستاذ محمود طالب ابو سنينة

**إن لكل مادة ونوع وجنس خصائص تميزه عن غيره مما شابهه، فتاجر السيارات مثلا يبين سنة صنعها وقوتها ومميزاتها وما تحتويه من إضافات وما توفره من وقود إلى غير ذلك وكذا أيام و ليالي وأشهر وفصول السنة، يتميز كل منها عن غيره بعدة مميزات.**

**وشهر رمضان المبارك اختصه الله تعالى على غيره من أشهر السنة كلها بفضائل عديدة، فلا عجب أن ينتظر المسلمون قدومه، بقلوب يملؤها الشوق والحب العظيم لهذا الشهر الجليل الذي خصّه الله ورسوله بمزايا لم تُعطَ لشهر غيره من أشهر السنة، حيث يزداد الصالحون صلاحاً والمحسنون إحساناً وبراً وعطاءً، والمذنبون توبة وندما.**

❖ ومن أهم مزاياه:

● **أن الله تعالى ذكره صراحة في محكم التنزيل،** وميزه بنزول القران العظيم فيه، وشرع ركن الصيام فيه، وهو هدى لمن أراد الهداية، ونجاة لمن أراد الفوز والسعادة، وقد أمر الله تعالى من أدركه من أهل الوجوب بصيامه، فقال جل شأنه: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ البقرة: ١٨٥ .

ورمضان مأخوذ من الرمضاء، والتي تعني: الأرض أو الحجارة إذا حميت من شدة وقوع حرارة الشمس عليها، وهي أيضا بمعنى بقايا نار الحطب التي يعلوها السكن، وقد قيل في الأمثال: (كالمستجير من الرمضاء بالنار) وهذا يضرب لمن كان في شدة فطلب النجاة منها فوقع في شدة أشد وأبلغ من الأولى، وأيا ما كانت، فان الرمضاء تحرق الأجساد، وشهر رمضان يحرق ذنوب الصائمين حرقا، ولا عجب فشهر رمضان هو شهر القرآن، وقد اعترفت الجن وأقرت أن الله تعالى ملأ السماء بحراس أشداء أقوياء، وبشهب حارقة خارقة منعا للجن من استراق السمع يوم نزول القرآن العظيم، وسجل مقولة الجن بقوله: ﴿**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ❖ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا**﴾ الجن: ٨-٩ .

فإذا اجتمع الصيام والقران لدى إنسان كانا أعظم قربة إلى الله تعالى في قبول التوبة والأعمال الصالحة، وغفران الذنوب، ومضاعفة الأجر وحسن الثواب.

● **والصيام الخالص لله تعالى،** يورث التقوى، وهذه هي الحكمة من مشروعية الصيام، لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ البقرة: ١٨٣ .

فالصائم عندما يخلو بالمفطرات التي يحبها ويشتهيها واعتادها في أيام الإفطار، ويدعها أثناء الصيام طاعة لأمر الله، وهو يعلم أنه لا رقيب عليه إلا الله، يكون بذلك الصيام قد ملك غرائزه، وسيطر على رغباته، وكبح نزعاته، واستعلى على شهواته، وتحرر من سلطان عاداته، وتخلى عن ذنوبه وسيئاته، في هذه الحالة، يمكننا القول بأن الصيام حقق صدق العبودية الكاملة وصدق الإخلاص لله تعالى، والتقوى المطلقة من الصيام.

● **ومن خصائص الصيام:** أن الله تعالى أضاف الصوم والثواب عليه إلى نفسه تعظيما لشأن الصيام، ففي الحديث القدسي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله محمد ﷺ: قال الله عز وجل: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم

الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه» أخرجه البخاري ومسلم، فتح الباري ج٤ ص ١١٨ .

ورغم أن جميع العبادات التي يؤديها المسلم ينوي بها مرضاة الله تعالى، إلا أنه ميز الصوم عنها لسر عظيم، وهو أنه لم يتقرب أحد من البشر لمن عُبد من دون الله بالصيام له، فكان الصوم في جميع العصور والأزمان لله وحده، بينما وجدنا من ركع وسجد، ودعا وأعطى، وذبح لغير الله.

وقيل إن الاستغناء عن الطعام والشراب من صفات الله عز وجل، فالصائم يتقرب إلى الله تعالى بما يحب الله من صفاته.

وأياً ما كان، فإن الحديث السابق يدل على عظم فضل الصيام، وكثرة ثوابه، لأن الله تعالى هو نفسه الذي يتولى الإثابة على الصيام، وعطاء العظيم لا بد وأن يكون عظيماً.

● **ومن خصائصه: أن الصوم يحفظ الصائم من الوقوع في المعاصي والآثام،** ويمنعه من ارتكابها، ويستره عن النار، وهو أدعى إلى التوبة والطاعة والانقياد لله تعالى، قال رسول الله محمد ﷺ في الحديث السابق: (الصيام جُنة)، وفي رواية أخرى لابن خزيمة في صحيحه (الصيام جُنة من النار كجُنة أحدكم من القتال) أي أنه ساتر ومانع من النار.

● **ومن خصائصه: أنه يحمل النفس على التحلي بالفضائل ويمنعها من اقتراف الرذائل،** كما أنه يحمل الجوارح على بذل المعروف، والتجرد من فعل أي إثم من الآثام صغيراً كان أم كبيراً، لعلمه بقول رسول الله ﷺ: (من لم يدع قول الزور والجهل والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) أخرجه النسائي وابن ماجة، ولقوله: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر».

● **ومن خصائصه أنه يخفف من حدة الشهوة الجنسية،** التي غالباً ما توقع الشباب والشابات في الإثم والمعصية من هنا قال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء» أخرجه البخاري ومسلم، فتح الباري ج٤ ص ١١٩ .

● **ومن خصائص الصيام:** أنه دليل على الولاء والانقياد والطاعة والحب لله، لذا كان خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، تبعا لطيب الصوم الذي هو عبادة من أجلّ العبادات، وأعظم القربات إلى الله تعالى، والتي خلقنا من أجلها.

وإذا كان بعض الناس يتطيبون بما طاب ريحه من أصناف البخور، ويزرعون ما حسن أريجه من الورود والزهور، ويتهادون بما غلا ثمنه من أنواع العطور، فإن خلوف فم الصائم عند الله من أفضل الروائح لكونه في طاعة وعبادة له سبحانه وتعالى.

● **ومن خصائصه: إنه سبب لفرح الصائم في الدنيا والآخرة،** «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره وهذا في الدنيا، أما في الآخرة فحين يلقى ربه يفرح بصومه، لما له من أجر عظيم وثواب جزيل على الصيام، حيث يضاعف الله عز وجل أجر وثواب العمل الصالح في شهر رمضان أضعافا كثيرة زيادة عن أجره في باقي أيام السنة الأخرى.

● فلا أحد يعلم ثواب الصيام إلا الله عز وجل، لقول الرسول محمد ﷺ: «كل عمل ابن آدم يُضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله عزّ وجل: إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي» مسلم ج ٤ ص ٢٨٦.

● **ومن خصائصه: أن الصيام يكفر الذنوب السابقة،** لقول رسول الله ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه» أخرجه البخاري ومسلم، ولقوله ﷺ: «من صام رمضان، وعرف حدوده، وتحفّظ مما ينبغي أن يتحفّظ كفّر ما قبله» أخرجه ابن حبان في صحيحه.

وهكذا كل العبادات تُكفر ما بينها من ذنوب صغيرة، أما الذنوب الكبيرة فلا يكفرها إلا التوبة الصادقة، لقوله ﷺ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مُكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» أخرجه مسلم.

● **ومن خصائص شهر رمضان المبارك أن فيه ليلة عظيمة ذكرها الله في محكم كتابه** بقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ**

﴿الْقَدْرِ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ❖ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ❖ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ❖ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ إنها ليلة موعودة مشهودة يشهدها الملائكة المقربون، ليلة اتصال خالق السموات بالأرض، ليلة الفرح والحبور والسرور، ليلة تفيض بالنور المبين، ليلة القدر والشرف، ليلة عظيمة تفوق عظمتها إدراك البشر، ليلة عظيمة باختيار الله لها، ليلة عظيمة بنزول القرآن المبين فيها، ليلة خير من ألف شهر في حياة البشر.

● **ومنها: أن الصائم يدخل الجنة من باب خاص يميزه الله به يسمى باب الريان،** قال ﷺ: «إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل معهم أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم، أغلق فلم يدخل منه أحد» أخرجه البخاري ومسلم ج٤ ص٢٨٦ وزاد الترمذي (ومن دخله لم يظمأ أبداً).

والريان ضد العطشان، وهو باب في الجنة يجري فيه أنهار عذبة لذة للشاربين، يدعى الصائم للدخول من هذا الباب، لأنه أعطش نفسه لله تعالى في الدنيا، فيجازى في الآخرة بالدخول من هذا الباب الخاص بالصائمين، للشرب من أي أنهاره التي تجري فيه تكريماً له وحفاوة به، فالجزاء من جنس العمل، بل إنّ الجزاء يتضاعف ثوابه ومن عطش نهاراً في صيامه، شرب في الجنة من باب الريان شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

● **ومن خصائصه: أنه سبب في الصحة والعافية،** لقوله ﷺ: «صوموا تصحوا» أخرجه الطبراني، ويؤكد الأطباء في العصر الحاضر قول الحارث بن كلدة طبيب العرب (المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء)، وقول رسول الله ﷺ: «لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصيام» أخرجه ابن ماجة ج١ ص٥٥٥ وكما هو معلوم فإن الزكاة تعني النماء والطهارة، فالصيام ينمي الجسم ويطهره من الأمراض والعلل.

● **ومنها: أن الصيام والقرآن يشفعان للصائم يوم القيامة،** بمعنى أن الصوم يطلب للصائم المغفرة والرضوان، والتجاوز عن المعاصي والآثام، فيكون سبباً في دخول الصائم الجنة، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته

الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: أي رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان» أخرجه أحمد والطبراني.

● **ومن خصائصه: أن الصيام يعود الصائم على الصبر واحتمال المكاره والمشاق،** ويذكره بفقره وحاجته إلى الله، ويحفظ نفسه ويردعها عن شهواتها ومفارقة ملذاتها والامتناع عنها فترة من الزمن، فتنمو فيه الصفات الحميدة ويتحلى بمكارم الأخلاق، وتكون لديه المناعة التي تحفظه من الهلاك، ويعودها على البر والإحسان، والمودة والإخاء، وصفاء القلوب و النفوس، والذكر والطاعة والاستغفار، وهذه كلها تحتاج إلى ممارسة قوية وصبر وحزم، ومن هنا قال النبي محمد ﷺ: «والصيام نصف الصبر» أخرجه ابن ماجة.. والصبر ثوابه الجنة.

عن سلمان رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان قال: «يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة وشهر يُزاد في رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء، قالوا: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، فقال رسول الله ﷺ: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمرة، أو على شربة ماء أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له، وأعتقه من النار واستكثروا فيه من أربع خصال، خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم، فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما، فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار، ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة» أخرجه ابن خزيمة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين»

متفق عليه.

● **ومن خصائصه: شعور المرء بعظم نعم الله عليه، وتذكيره به،** فلا يشعر بقيمة الصحة إلا من أصيب بالمرض، لذا قيل: الصحة تاجٌ على رؤوس الأصحاء لا يعرفه إلا المرضى، وكذا كل النّعم لا يشعر بقيمتها ولا يتذكر أهميتها إلا من حُرم منها، وإنّ توالي النّعم واستمرارها على المرء يقلل من إحساسه بقيمتها، وفي الصيام انقطاع عن الاستمتاع بالماء والغذاء والجماع، فيشعر المرء بعظم هذه النّعم عليه، مما يدعوه إلى التضرع لله تعالى بحفظها ودوامها، وتوافرها عليه .

لذا قال رسول الله ﷺ: «عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت: لا يا رب، ولكني أشبع يوماً، وأجوع يوماً فإذا جعت تضرّعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك».

● **ومن خصائصه: إجابة دعوة الصائمين،** فدعوة الصائم لا تردّ، إكراماً لهذا الشهر العظيم، بدليل قوله ﷺ: «ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتُفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزّتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين» وفي رواية: «الصائم حتى يفطر» أخرجه أحمد والترمذي وابن خزيمة وابن حبان والبزار.

● **ومنها أن الإخلاص بصيام شهر رمضان سبب في غفران الذنوب وما تقدم منها،** بدليل ما رواه عمر من الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ذاكر الله في رمضان مغفور له، وسائل الله فيه لا يخيب» أخرجه الطبراني في الأوسط والبيهقي.

● **ومنها أن الله يغفر في أول ليلة من شهر رمضان لكل أهل هذه القبلة.**

● **وأن حيتان البحر تستغفر للصائمين.**

● **ومنها أن الله عزّ وجل ينظر إلى الصائمين ومن نظر إليه لم يعذبه أبداً** «وأن الملائكة تستغفر للصائمين في كل يوم وليلة وتدعو لهم بالرحمة والمغفرة وأن الله عزّ وجل يأمر جنته بالاستعداد والتزين للصائمين».

● **أن أبواب السماء تفتح فلا يغلق منها باب،** فتنزل منها الرحمات، وتُصفّد الشياطين ومردة الجن بالسلاسل، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين» متفق عليه

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين مردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي منادٍ يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة» رواه الترمذي.

● **ومنها أن الله عزّ وجل يتوب تفضلاً منه كل يوم وليلة على عدد من الصائمين إكراماً لهذا الشهر المبارك،** قال ﷺ: «إن لله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة (يعني في رمضان) وإن لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة» أخرجه البزار.

● **ومنها أنه من صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.**

● **ومنها: فضل الله عزّ وجل قبول التوبة وغفران الذنوب،** وعفوه غير المحدود عن المسيئين ورحمته الواسعة في إبعاد الصائمين والمسلمين من أصحاب الأعذار عن نار جهنم إكراماً لشهر رمضان المبارك.

● فمن أدى صيامه على الوجه الأكمل، وتهجد في ليالي رمضان وأطاع الله وأكثر من ذكره وحمده، ملأ الله صحيفته بالحسنات، ومحا عنه السيئات، وأعطاه كتابه بيمينه، وأضاء له وجهه نوراً، ونقى جسمه وطهره من الدنس وعفا الله عنه وغفر له ذنوبه.

● **وأن الصائم يتمتع بنعيم مقيم ليس له مثيل يوم القيامة** منها: القصر الواسع الرحب المزخرف بأنواع الزينات والمطرز بأبهى الحلل، والمفروش بأجمل الأثاث وأغلى الرياش.

● **سمو الروح المتحلية بالفضائل،** وتخلق المؤمن بالأخلاق الفاضلة الكريمة وتشبهه بالملائكة المقربين المنزهين عن جميع الشهوات، فهم لا يأكلون ولا يشربون بل هم في طاعة لله رب العالمين.

### ❖ ومن الآثار:

- غض البصر عن النظر إلى ما حرّم الله وإلى كل ما يلهي عن ذكر الله.
- حفظ اللسان عن الكذب والغيبة

والنميمة والفحش والجفاء، وشغله بذكر الله وتلاوة القرآن العظيم.

- كف الأذنين عن سماع كل مكروه ومحرم، وتعويدهما على الإصغاء لمجالس العلم والذكر وتلاوة القرآن الكريم ولما فيه طمأنينة للقلب وراحة للنفس وإشراق للروح.
- حفظ بقية الأعضاء كاليدين والرجلين عن المكاره والمعاصي وتعويدهما السعي والعمل والعطاء لله في سبيل الله.
- تحري الطعام والمال الحلال والبعد كل البعد عن المال الحرام، فكل جسم نما من حرام فالنار أولى به.
- تعلق القلب بالله والأمل والرجاء في أن يقبل الله صيامه.
- الصيام يقمع الشيطان ويسد عليه مسالكه ويضيق عليه مجاريه.

وشهر رمضان شهر خير وبركة، وبذل وعطاء، وتهذيب للنفس، وسمو للروح، يصبّ الله فيه الخير صباً، وهو شهرٌ عظيم للبرّ والصلة، ومعينٌ لا ينضب للأخلاق الفاضلة، والخصال الحميدة، وينبوعٌ للرحمة وحبلٌ للمودة، من صامه رقّت روحه، وصفت نفسه، وجاشت مشاعره، ورهُفت أحاسيسه، والصيام مفتاحٌ لكل خير، مغلاقٌ لكلّ شر، وداعٍ للمعروف وناهٍ عن المنكر، وشهرٌ للانتصارات الحاسمة.

وأخيراً فإن هذا الشهر يأتي كلّ عام ليجدد في الصائمين دورة تدريبية على أعمال الخير والبرّ، وتجسيد العبودية الكاملة لله عزّ وجلّ، وغرس الأخلاق الفاضلة الحميدة، وحمل النفس على ما يزينها، وإحجامها عن الرذائل وما يشينها، وكبح جماحها وتزكيتها، وضبط تصرفاتها وأفعالها، وتحقيق التكافل بين أفراد المجتمع، وتقوية أواصر المحبة والأخوة والصلة، وتجسيد روحها بين أبنائه، وبث روح العزم والتصميم وقوة الإرادة في طلب العزة والمنعة، ودعامة قوية لسلامة الجسم وزيادة الحيوية والنشاط، والبذل والعطاء، إنه موسم الطاعات، وتفريج الكربات، وعلوّ الدرجات.

جعلنا الله وإياكم ممن قُبل صيامه، وقيامه، وبذله وعطاؤه، وزاد صبره، ووصل رحمه، وحسُن عمله وخُلُقُه، وممن علا مقامه، وحسُن ذكره، ورضي عنه ربّه.

# رمضان
# ضيف كريم أقبل..

■ بقلم الاستاذ أحمد الأسعد

**نحن مقبلون على شهر عظيم، ألا وهو شهر رمضان وما أدراك ما شهر رمضان شهر البر والإحسان.. شهر أوله رحمة.. وأوسطه مغفرة.. وآخره عتق من النيران.**

**شهر تمنى النبي ﷺ لقاءَه إذ قال في دعائه: (اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان) فهكذا تهب نسمات الإيمان على المؤمنين.. نسمات بها عبق الروحانية.وشذا الإخلاص.. وفوح العبادة.. وأريج الصدق.. نسمات تستقبل شهر القرآن وشهر الصيام وشهر القيام وشهر الجود وشهر والغفران.. من بلغه الله هذا الشهر فهو من المغبوطين قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلك لعلكم تتقون﴾.**

وعن النبي ﷺ أنه قال: "إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، صفدت الشياطين و مردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة".

فقبل لقائه هو في شوق وحنين إلى لقائه كيف ذلك.. وهو شهر الصبر.. شهر الطاعة.. شهر الإنابة والذكر، لذلك والله ما ودعه مؤمن إلاّ وقلبه يحترق لفراقه، وما انصرف شهر رمضان عن عبدٍ صالحٍ

قام بحقه وقدره، إلاّ وكان انصرافه في قلبه حزناً وشوقاً وحنيناً لا يعلمه إلا الله عز وجل.

ها قد جاء ضيف كريم يطرق باب القلوب والجوارح من جديد، ليعلقها برب البرّيات ويزهدها في الدنيا وما فيها من شهوات ، ضيف جاء ومعه من الماء النقي ليغسل الأوزار والمعاصي والذنوب، التي بها فسدت الجوارح وقتلت القلوب، ضيف من تركه بدون تكريم ولا حسن ضيافة، خسر وخاب وندم وظل في غياهب الظلم والظلمات، ومن أحسن لقاءَه فلح وأدرك النجاح وسار على درب الصالحين واشعل نوراً في قلبه.

**هذا الضيف هو رمضان**

أتى رمضان مزرعة العباد

لتطهير القلوب من الفساد

فأدِّ حقوقه قولا وفعلا

وزادك فاتخذه للمعاد

فمن زرع الحبوب وما سقاها

تأوه نادما يوم الحصاد

يا من طالت غيبته عنا قد قربت أيام المصالحة، يا من دامت خسارته قد أقبلت أيام التجارة الرابحة، من لم يربح في هذا الشهر، ففي أي وقت يربح، من لم يقرب فيه من مولاه فهو على بعده لا يربح.

خطب عمر بن عبد العزيز آخر خطبة خطبها فقال فيها: إنكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى، وإن لكم معادا ينزل الله فيه للفصل بين عباده فقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحرم جنة عرضها السموات والأرض ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيرتها بعدكم الباقون، كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين وفي كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله، قد قضى نحبه وانقضى أجله فتودعونه وتدعونه في صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وسكن التراب وواجه الحساب، غنيا عما خلف فقيرا إلى ما أسلف فاتقوا الله عباد الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقيته، وإني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما أعلم عندي، ولكن أستغفر الله وأتوب إليه. ثم رفع طرف ردائه وبكى حتى شهق ثم نزل فما عاد إلى المنبر بعدها

حتى مات رحمة الله عليه.

في رمضان.. أغلق مدن أحقادك واطرق أبواب الرحمة والمودة، فارحم القريب وود البعيد وازرع المساحات البيضاء في حناياك، وتخلص من المساحات السوداء في داخلك.

في رمضان.. أعد ترتيب نفسك اكتشف مواطن الخير في داخلك، واهزم نفسك الأمّارة بالسوء.

في رمضان.. جاهد نفسك قدر استطاعتك، واغسل قلبك قبل جسدك ولسانك قبل يديك، وأفسد كل محاولاتهم لإفساد صيامك، واحذر أن تكون من أولئك الذين لا ينالهم من صيامهم سوى العطش والجوع.

في رمضان.. سارع للخيرات وتجنب الحرام واخف أمر يمينك عن يسارك وامتنع عن الغيبة كي لا تفطر على لحم أخيك ميتاً.

في رمضان.. احذر الظن السيئ أو الإساءة لأحد من الخلق، وإياك والظلم فالظلم ظلمات يوم القيامة.

في رمضان.. افتح قلبك المغلق بمفاتيح التسامح، واطرق الأبواب المغلقة بينك وبينهم، وضع باقات زهورك على عتباتهم، واحرص على أن تبقى المساحات بينك وبينهم بلون الثلج النقي.

في رمضان.. تذكر أولئك الذين كانوا معك في رمضان يملئون عالمك، ثم غيبتهم الأيام عنك ورحلوا كالأحلام.. تاركين خلفهم البقايا الحزينة تملأك بالحزن كلما مررت بها أو مرت ذات ذكرى بك.

في رمضان.. افقد ذاكرتك الحزينة قدر استطاعتك، فلا تتحسس طعنات الغدر في ظهرك ولا تحص عدد هزائمك معهم، ولا تسجن نفسك في زنزانة الألم ولا تجلد نفسك بسياط الندم، واغفر للذين خذلوك والذين ضيعوك والذين شوهوك والذين قتلوك والذين اغتابوك وأكلوا لحمك ميتاً على غفلة منك.

# التوبة ورمضان

■ بقلم الشيخ محمد عبد الكريم

**يقول الله سبحانه وتعالى مناديا عباده الذين أسرفوا على أنفسهم بالمعاصي: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم﴾ ويعلنها ربنا محبة للتائبين والمنيبين والمستغفرين فيقول عز وجل: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾.**

ويذكر لنا الرسول ﷺ قصة حدثت في غابر الأزمان عن رجل بلغ في الإجرام مبلغا عظيما، عظيما قتل تسعة وتسعين نفسًا فتُعرض عليه التوبة ويحنّ إلى الله عز وجل، فيبحث عن الذي يدله على طريق الله، يبحث عن الذي يقول له: هذا هو الدرب إلى الله، وكثير من الناس يحن إلى التوبة فيخطىء الطريق، فيقع بين يدي رجل لا علم له ولا فقه، إمّا أن يقنّطه من رحمة الله فيقفل باب التوبة أمام عينيه، وإمّا أن يسوف له في التوبة ويرجئ له حتى لا يتوب فيقعون فيمن لا علم لهم ولا بصيرة بالله.

وها هو ذا الرجل المسكين دُلّ على راهب لا حظ له من العلم فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فسأله هل لي من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمّل به مائة، وهكذا وبعد تكميل المائة إذا بهذا الرجل المجرم يعاوده الحنين إلى كنف الله الرحيم، فيسأل مرة أخرى نفس السؤال عن أعلم أهل الأرض، ولكنه هذه المرة يصيب الهدف فيأتي إلى عالم رباني،

يعامل المذنبين الراجعين إلى ربهم معاملة الطبيب الماهر للمرضى الملهوفين، فدُل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال له العالم: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة، وهذا العالم الرباني ما قال نعم هكذا من تلقاء نفسه بل لعلمه بسعة غفران ربه.

ولكنه لا يكفي لمثل هذا الذي تأصلت الجريمة في كيانه أن يقول: تُبت دون أن يتحرك أو يعمل، فلا بد من الحركة بعد التوبة كما قال عز وجل: **﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا﴾**، ولا بد لمن أراد التوبة أن يبتعد عن الوسط الفاسد الذي يُذكي نار المعصية في النفس، لا بد أن تكون هناك عملية تبديل جذرية لحياة التائب إلى الله عز وجل، فأصحاب السوء يستبدلهم بأصحاب التُقى والخير، بأصحاب القرآن وأحاديث النبي ﷺ، ومجالس الغيبة والنميمة يستبدلها بمجالس الذكر والكلمة الطيبة والنصيحة.

ولهذا لم يكتفِ العالم الرباني بقول: نعم، بل قال: انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن فيها أُناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق، والفاء هنا في قوله: "انطلق" يدل على سرعة الإجابة على تلبية النداء والصدق في التوبة، فالرجل ما وقف مترددًا بالإجابة مقدمًا لرجل ومؤخرًا لأخرى ولا قال في نفسه: لا، غدًا أتوب أو بعد أن استمتع فترة أخرى من الزمان أو من بعد أن أتزوج واستقر أو بعد أن يصير لي حظٌ طيب من المال فأترك الربا، أو أتوب وأبقى مع رفاقي الأولين فإنهم هم الذُخر، هُم السند، لا، وإنما حصل عنده ردةُ فعل عجيبة تُذكرنا بقوة الفاروق عمر رضي الله عنه عندما أسلم مباشرة، فخرج يجمع المسلمين ليجهروا بإسلامهم أمام المشركين فانطلق الرجل إلى أرض المؤمنين، إلى مجالس الصالحين، حتى إذا نَصَفَ الطريق آتاه الموت **﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾** فناء بصدره نحوها ـ ناء بصدره توجه بصدره نحو البلدة الطيبة ـ فاختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلاً بقلبه على الله.

وتفكر أخي المسلم في حجة ملائكة الرحمة حجتهم أن هذا جاء منطلقا، تائبا، إنهم يعتبرون تلك الانطلاقة المباركة لهذا

الرجل من بلده وتركه لرفقاء السوء يرون ذلك كفيلاً بأن يجعله من أهل الجنان، وأن إقباله على أرض الطاعة وتوجهه بصدره نحو البلدة الطيبة والمؤمنين يعد إقبالاً منه بقلبه على الله ـ، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم مَلك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال الحكم ـ المَلك الذي في صورة آدمي ـ: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة، وفي رواية: "فأوحى الله إلى هذه أن تقرّبي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما فوُجد إلى هذه أقرب بشبر فغُفر له.

انظروا إلى الكلاءة الربانية بالراجعين وإلى العناية الرحمانية بالتائبين، إنه تاب ولذلك وحيٌ خاص إلى الأرض من أجل عبد من عبيده ما فعل خيرًا سوى أنه تاب، وإنقلاب كوني هائلٌ بامتداد أرض وتقلص أخرى من أجل رجل هجر المعاصي وأهلها وقصد المؤمنين وبلدتهم فأما من تاب وآمن وعمل صالحًا فعسى أن يكون من المفلحين، إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين أجرًا عظيمًا.

كل الذنوب فإن الله يغفرها

إن شيَّع المرء إخلاص وإيمانُ

وكل كسر فإن الله يجبُره

وما لكسر قناة الدين جُبرانُ

فيا عجبًا! بعد هذا من الذين لا يتوبون إلى الله عز وجل، من الذين يتركون طريق التوبة والتي هي طريقها قديم، قديمٌ قدم الأولين والآخرين فيقسمون فيها إلى قسمين: إلى تائب أو ظالم ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون، تاب الله عز وجل على الفجّار كما تاب الله عز وجل على الأبرار، أما تاب آدم عليه السلام أبو البشر، أبو الأنبياء والمرسلين؟ أما تاب فتاب الله عز وجل عليه حين أكل من الشجرة وناداهما ربهما **﴿ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدوٌ مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾**.

وقال عز وجل عنه أيضًا: **﴿وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾** وأمر الله عز وجل نبيه بالتوبة،

أمره عز وجل بالتوبة فقال سبحانه وتعالى: **﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾**، وأمر صحابة نبيه فقال: **﴿وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾**، وهم الصابرون، وهم المجاهدون، تاب موسى عليه السلام فما بالنا لا نتوب، تاب موسى عليه السلام حين ضرب ذلك القبطي فوكزه وقضى عليه، فقال موسى عليه السلام: إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم، وأعلنها توبة حين عاين رحمة الله وعظمته فقال: **﴿إني تُبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾**.

وتاب سليمان عليه السلام قال عز وجل عنه: **﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدًا ثم أناب ❖ قال رب اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ❖ فغفرنا له﴾** غفر الله عز وجل له وغفر من قبل ذلك لأبيه داود حين استغفر ربه وخر راكعا وأناب وغفر الله عز وجل للمهاجرين والأنصار حين تلبسوا بالطاعة وخرجوا في جيش العسرة فقال الله عز وجل: **﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم﴾**.

والله عز وجل يفرح بتوبتك أيها العبد يفرح فرحا عظيما ـ تخيل نفسك أعرابيا بدويا تسير في صحراء قاحلة لا شجر ولا ماء وبين يديك معقل الأمل في الحياة بعد الله عز وجل راحلة عليها طعام وشراب، فضجرت هذه الناقة وانقلبت وانفلتت فأخذت تجري وراءها وتمشي ذات اليمين وذات الشمال تسير وتسير حتى أخذ منك الجوع والعطش مأخذا عظيما، حتى أيست وقنطت من وجود الراحلة التي عليها الطعام والشراب ولاح لك من على بعد شجرة لها ظل فذهبت إلى الشجرة وانطرحت تحتها لتنام النومة الأخيرة التي ليس بعدها استيقاظ، لأن الممات قاب قوسين أو أدنى منك فبينما أنت نائم متوقع الممات إذا بالراحلة بين يديك يسوقها الله عز وجل إليك فتأخذ بخطامها وتفرح فرحًا عظيمًا، وإذا كنت لا تستطيع أن تتخيل الحياة البدوية فتخيل رجلاً متقدماً إلى عملية جراحية نسبة الفشل فيها أكبر من نسبة النجاح فدخل العملية وخرج ناجحًا، وخرج صحيحًا

سليمًا؛ كم يفرح هذا المرء! وكم يفرح أهله به.

فرح الرجل فرحا عظيما وأخذ بخطام الناقة وقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح يقول: «لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته عليها طعامه وشرابه فانفلتت منه فآيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد آيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا بها قائمة عنده عليها طعامه وشرابه فأخذ بخطامها وقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح» أخرجه مسلم عن أنس.

وفي رواية عند أحمد والبخاري وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش قال: ارجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه، فالله عز وجل أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده»، فأنت إذا أحدثت توبة فرح الله عز وجل أكثر من فرحك بالحياة بعد استيقانك بالوفاة والممات، يفرح الله عز وجل ولذلك يحب الصالحين التائبين المنيبين ويرضى عنهم فهل من توبة قبل الممات؟ وهل من إجابة لما دعا إليه رب الأرض والسموات: **﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم﴾**.

يقول الرحمن جل في علاه: **﴿ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما﴾** ويقول سبحانه وتعالى: **﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا﴾**.

فيا أخي المسلم: تب إلى الله توبة نصوحًا، وحدثني بالله عليك متى التوبة إن لم تكن في هذه الأيام ومتى دفع المهور للحور العين في الجنان إذا لم تكن في هذه الأيام، أما تشتاق إلى جنة عرضها السموات والأرض؟ ألا تحب أن تمتلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؟!.

إن أبواب الجنة قد فتحت لك أيها التائب الصائم المطيع فلماذا هذا الجفاء لمن يقابلك بالإحسان؟ لماذا هذا الإعراض لمن يقابلك بالغفران؟ ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم؟ لماذا هذا الإصرار على متاع الدنيا الزائل في ظل المعاصي؟! فاترك عنك الأماني الكاذبة وأخلص إلى ربك التوبة؛ فإن الأجل قصيرٌ قصير مهما اغتررت بطول الأمل **﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءً يُجز به ولا يجد له من دون الله وليًا ولا نصيرًا﴾**.

ورمضان كالغرة المحجلة في شهور السنة فوا أسفا عليك إن خرجت من رمضان وأنت لم تتغير ولم ينقلب منك شيء ولم يرفع منك توبة إلى الله عز وجل: **﴿ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين﴾**، ولكن متى الفرار إلى الله إن لم يكن في هذه الأيام، إن لم يكن في هذا الشهر؟!

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التُقى
واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
ولا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

فيا أيها السامع لما أقول دع عنك الغفلة والغرور، واجعل من شهر الصوم هذا بداية لحياة مليئة بالطاعة مفعمة بالخير اجعل من هذا اليوم نقطة البداية للحفاظ على الصلاة في بيوت الله، اعزم من الآن على أن لا تترك صلاةً واحدة تفوتك، انس من اليوم أنك ذلك الشخص الذي لا يستطيع أن يستيقظ لصلاة الفجر في جماعة، زكِ قلبك بالقرآن، اسكب الدموع والعبرات على ما جنت يداك في الأيام الماضية فعسى الله أن يبدل سيئاتك حسنات ولا مقارنة بين ما ارتكبت من المعاصي وسعة رحمة الله عز وجل، فرحمته وسعت كل شيء، وأقلع عن الذنوب ولا تخش في تركها لومة لائم ولا تهديد مهدد، ولا تقل: هذا الذنب صغير، اترك حلق اللحية واترك الدخان واترك المسكرات.

أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ
واشدد يديك بحبل الله معتصمًا
فإنه الركن إن خانتك أركانُ
من يتق الله يُحمد في عواقبه
ويكفه شر من عزّوا ومن هانوا

إن كنت ممن يشرب الخمر فاهجرها واتركها، فإنها حرام، وعشرة ملعونون في

الخمر، وإن كنت ممن يأكل الربا فذرها، إن كنت ممن يأخذ الرشوة فاتركها واكتف بالحلال فإنه خير لك وأبر لك من وراءك بأولادك، ونقِ مالك من الحرام ولا تخشَ من ذي العرشِ إقلالاً فإنه سيعوضك خيرًا منها: الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز، وإن كنت منّاعًا للخير صادًا عن سبيل الله فتب إلى الله عز وجل من الصد عن سبيله، فلا يكن أحدنا شيطانًا يصرف الناس عن الخير وعن السير في ركب المستقيم بعد أن صفدت مردة الشياطين وروض نفسك في هذا الشهر على المسابقة إلى الخيرات، فما أجمل أن تتصف بصفات الأنبياء الذين قال الله عز وجل فيهم: **﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين﴾**.

ولا تلتفت أخي الحبيب المسلم إلى الذين يحبونك أن تبقى أبدًا على غير هدى من الله فإن أكلة الربا ممن لم يمن الله عليهم بالتوبة يحبون أن يأكل الناس جميعًا الربا، وإن الزناة يحبون من الناس أن يزنوا جميعًا، فانتبه أن يحجبوك عن التوبة، وانتبه أن يمنعوك عن الخير فإن الله يحب أن تتوب ويحب الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيمًا.

فريق من الناس يريدون منّا أن نكون أعوانًا لهم في الشر والصد عن سبيل الله، استمع ماذا يقول الله عز وجل عنهم: **﴿والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيما ❖ يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا﴾**، وصدق من قال:

من كان للخير منّاعًا فليس له

على الحقيقة إخوان وأخدان

من استعان بغير الله في طلب

فإن ناصره عجز وخذلان

ويا أيها الشاب الذي أنت مغتر بشبابك رفقًا ثم رفقًا بنفسك وصونًا لدينك وعرضك، أخي الشاب كفاك إضاعة لعمرك في غير طاعة لخالقك ومولاك، أما تفكرت في سؤال الله لك يوم القيامة عن شبابك فيما أبليته لماذا هذا التخلف والرجعية عن أن تكون ممن يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، لماذا هذا التقهقر عن التأسي برسولك وأصحابه

الذين كانوا شبابًا سريعة إلى الخير أنفسهم، بطيئة عن الباطل أرجلهم، فهذه نصيحة مِنّي أهديها إليك أرجو أن تكون لها من المنفذين.

فإن كنت أخي من المتهاونين عن الصلاة فعاهد ربك أن لا تفرط فيها بعد اليوم وتربى على المساجد، ربّي نفسك على أن تكون حمامة المسجد فإن الفلاح كل الفلاح والمستقبل الباهر كل المستقبل هو هناك، هناك في مقعد صدق عند مليك مقتدر في جنات ونهر حيث الحور العين المقصورات في الخيام يخطبن ودّك ولا يعصينك أبدًا، **﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾** فلا تنظرن إلى ما حرم الله في التلفاز والأسواق وغيرها **﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾**، وإن كنت ممن تعق والديك فابدأ معهما من اليوم صفحة جديدة شعارك فيه التودد إليهما والحب والدعاء لهما وتنفيذ أمرهما في غير معصية الله.

لا تغتر بشباب رائق خضرٍ
فكم تقدم قبل الشيب شبانُ
لا تحسبن سرورُ دائم أبدًا
من سره زمن ساءته أزمانُ

وأنت أيتها الأخت المسلمة عليك بطاعة الله ورسوله ثم عليك بطاعة زوجك في غير معصية الله وافتحي صفحة جديدة مع ربك الرحمن، كوني عونًا لزوجك على الطاعة وإياك أن تكوني عونًا له على المعصية، واعلمي بأن توبتك في الحقيقة هو الحجاب الحجاب فتمسكي بالحجاب وعضي عليه بالنواجذ، وإياك والتبرج في الأسواق والشوارع ولا تصافحي أو تلمسي رجلاً غير محارمك.

# معركة عين جالوت

■ بقلم الاستاذ محمد الجاعوني

**تظل معركة عين جالوت احدى روائع الانتصار الاسلامي، حين يكون الاسلام ملاذ هذه الامة وحين تتوافر ادوات النصر التي يأتي في مقدمتها الانتصار للحق، ورد الظلم وكف الاعتلاء والاستكبار وحين تلتقي العقيدة مع الارادة وتتولد في هذه الامة طاقات جبارة، تمحي من الذاكرة فترات الضعف والهوان عن النفس.**

**ولان الاسلام ليس دين سيف وقتال وفرض ارادة على ارادة الاخرين، فإن القتال في الاسلام دائما يكون لدفع الظلم ورد المستكبر واشاعة العدل، ولان صوت المنبر علا في مصر ليكون مرشدا لصوت الحكم وهي معركة فاصلة في تاريخ الإسلام، بل في تاريخ العالم حدثت في صباح يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان عام ٦٥٨هـ.**

فقد أوقفت هذه المعركة المد المغولي المكتسح الذي انهارت أمامه الجيوش الإسلامية وتهاوت أمامه الكثير من دول ومدن الإسلام، وأسقط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ ودمر بغداد وقتل فيها وحدها نحو مليون قتيل.

وتعد هذه المعركة من أهم المعارك الفاصلة في تاريخ العالم الإسلامي التي انتصر فيها المسلمون ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يهزم فيها التتار الذي تغلغل عميقًا، واخترقوا ميسرة قطز، فانكسرت تلك الميسرة كسرة شنيعة،

فألقى السلطان قطز عند ذلك خوذته على الأرض، وصرخ بأعلى صوت: واإسلاماه! واإسلاماه!، و حمل بنفسه في طائفة من جنده، وأسرع لنجدة الميسرة، حتى استعادت مواقعها في معركة حاسمة منذ عهد جنكيز خان.

وكانت مصر مهددة بغزو وشيك لها من التتار، وأدت المعركة لانحسار نفوذ التتار في بلاد الشام وخروجهم منها ، كما وأدت المعركة لتعزيز موقع دولة المماليك كأقوى دولة إسلامية في ذاك الوقت لمدة قرنين من الزمان إلى أن قامت الدولة العثمانية، وكانت هذه المعركة واحدة من أكثر المعارك حسماً في التاريخ، أنقذت العالم الإسلامي من خطر داهم لم يواجه بمثله من قبل، وأنقذت حضارته من الضياع والانهيار، وحمت العالم الأوروبي أيضًا من شر لم يكن لأحد من ملوك أوروبا وقتئذ أن يدفعه.

قال تعالى: **﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾** وهناك سؤالان قد يخطران على بال المحلل للأحداث، والمتدبر في مجريات الأمور.. وللسؤالين إجابة واحدة..

**- السؤال الأول هو:** كيف سُلّط جيش التتار الفاسد المفسد على أمة الإسلام وهي خير منه مهما خالفت المنهج، ومهما قصّرت في واجباتها؟!

**- السؤال الثاني هو:** جيش التتار الذي انتصر على المسلمين في كل المواقع السابقة، هو نفس جيش التتار الذي هُزم في عين جالوت.. لماذا انتصر في السابق؟ وما الذي حدث حتى يهلك الجيش بكامله بهذه الصورة العجيبة؟!

والإجابة على السؤالين نجدها في جزء من خطاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابي العظيم الملهم، وكان قد أرسل خطاباً إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي كان يقود الجيوش الإسلامية المتجهة لحرب الفرس في موقعة القادسية..

يقول الصحابي الحكيم عمر رضي الله عنه يخاطب سعداً رضي الله عنه: "فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكون أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية،

كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا نُنصرْ عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا.. فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله، يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا: إن عدوّنا شر منا، فلن يُسلَّط علينا، فرب قوم سُلِّط عليهم مَن هو شر منهم، كما سُلّط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفارُ المجوس، فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولاً.."

هذا جزء من رسالة الفاروق عمر رضي الله عنه، والتي تُعد من أنفس ما قال، ومن أعظم الرسائل على وجه الأرض.. والرسالة طويلة.. ودراستها في غاية الأهمية لبناء الأمة.. في هذا الجزء الذي ذكرناه يتضح لنا أن الله عز وجل أحياناً يسلط الكفار والمفسدين على المسلمين إذا عمل المسلمون بمعاصي الله، فإذا التزم المسلمون بتقوى الله عز وجل وساروا على منهج ربهم ومنهج رسوله صلى الله عليه وسلم، انتصروا على الجيوش التي طالما انتصرت عليهم.. لم ينتصروا عليها لقوة جسد أو لكثرة عَدد أو لكفاءة عُدد، وإنما ينتصرون لارتباطهم بربهم، وبُعد أعدائهم عنه سبحانه.. من هنا نفهم لماذا سُلّط التتار أربعين سنة على المسلمين في الأرض.. ومن هنا نفهم لماذا انتصر المسلمون في عين جالوت على الجيش الذي دوّخ بلاد المسلمين عشرات الأعوام.. ومن هنا أيضاً نفهم أحداثاً كثيرة في التاريخ، وأحداثاً كثيرة في الواقع.

فإذا رأينا ضعفاً وخوراً وجبناً واستكانة في جيوش المسلمين.. وإذا رأينا تبعية لغرب أحياناً، ولشرق أحياناً أخرى.. وهواناً في الرأي، وسقوطاً للهيبة.. أهذا شيء يدعو إلى الإحباط واليأس؟ أبداً.. إنه يدعو إلى التفكر والتدبر والاستفادة من التاريخ والعمل.. وعين جالوت بين أيدينا.. وإلا فلماذا ندرس هذه الأحداث التاريخية التي مرّ عليها قرون وقرون؟!! العودة إلى الله عز وجل ليست صعبة!! مهما غرقت الأمة في معاصيها، ومهما ابتعدت عن كتاب ربها، ومهما ضلت طريقها، فإنها تعود إلى الله عز وجل في لحظة واحدة.. هذا إذا أرادت أن تعود.. هذا إذا أرادت أن تعيش.. بل هذا إذا أرادت أن تسود وتقود وترفع رأسها وتُعزّ شأنها.

مهما ابتعدنا عن الله فإنه يقبلنا بل يفرح بنا ـ سبحانه وتعالى ـ إذا عدنا إليه.. روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ

فَنَامَ نَوْمَةً فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ".. فقط علينا أن نعود إلى الله.. وسنرى عين جالوت.. وألف عين جالوت.. هذا وحده إذن هو التفسير الشرعي للانتصار والهزيمة في الإسلام.. ينتصر المسلمون بارتباطهم بربهمو ويُهزمون ببُعدهم عن الشرع.. والله عز وجل لا يظلم الناس شيئًا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون..

### ❖ الدروس والعبر:

**أولاً-** امة الاسلام أمة الفوز والنصر والظفر والعزة والتمكين متى ما أرضت الله وتوجهت نحو ما يريده بصدق وعزيمة.

**ثانياً-** تَغَلُّب الأمة على أعدائها -ولو فاقوها في العدة والعتاد والقوة- يمكن أن يتمَّ بإذن الله في فترة قصيرة لا يتصورها العقل البشري.. وذلك متى ما حققت الأمة أسباب النصر.

**ثالثاً-** أهمية التوبة من الذنوب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتمسك بأوامر الدين في تقريب وتحقيق نصر الأمة وإبعاد أسباب الذل عنها.

**رابعاً-** الأفعال المخلصة والكلمات الصادقة المؤثرة، تبقى تتردد في ضمير الأمم على مدى التاريخ، فلا زالت كلمة والإسلاماه منذ أن قالها سيف الدين قطز وحتى أيامنا هذه رمزاً يحرك القلوب ويحفز الهمم.

**خامساً-** كم في تاريخ أمتنا من أحداث مشرقة وصفحات منيرةو فلنخبر ولنُذكِّر بها الأجيال الصاعدة من أبنائنا، ليزداد تعلقهم بدينهم وحرصهم على خدمته خاصة وسط ما يعيشونه من فتن وأوضاع تبهرهم بواقع الأمم الأخرى.

**سادساً-** معركة عين جالوت التاريخية الحاسمة وغيرها من انتصارات الأمة الكثيرة التي حدثت في رمضان، تؤكد أن شهر رمضان المبارك لم يكن في تاريخ الأمة شهر ضعف وكسل وخمول، بل كان شهرا يحفز الأمة ويهيئها للبذل والمثابرة والجد والتضحيات.

**سابعاً:** وكأن التاريخ يعيد نفسه.. فكم مما حصل في أزمنة سابقه من تقلب الأحداث وكيد الأعداء ترى الأمة مثله مرات ومرات عديدة، وتكون نفس الأسباب والمسببات، وطريق عزة الأمة واحد لا يتغير.

# أول أيام شهر رمضان وفقاً للحسابات الفلكية

■ بقلم الاستاذ الفلكي عماد مجاهد

**تشير الحسابات الفلكية، إلى أن هلال شهر رمضان للعام الهجري ١٤٣١ الجاري سيتولد بإذن الله صباح يوم الثلاثاء، الموافق للعاشر من شهر آب الجاري، وذلك في تمام الساعة (٦) و (٩) دقائق و (١٥) ثانية بالتوقيت الصيفي للمملكة، ويمكث الهلال بعد غروب الشمس في غرب العاصمة عمان، مدة (٥) دقائق وهي مدة غير كافية لرؤية الهلال على الإطلاق.**

بينما يمكن رؤية الهلال بوضوح مساء يوم الأربعاء الموافق للحادي عشر من آب، حيث يمكث الهلال بعد غروب الشمس في عمان مدة (٤٤) دقيقة، ويكون عمر الهلال عند الأفق لحظة غروب الشمس (٣٧) ساعة و (٢٢) دقيقة، ويغيب الهلال في زاوية تقع إلى جنوب زاوية غروب الشمس بمقدار (٢٠) درجة و (٢١) دقيقة و (٨) ثوان، ويكون ارتفاع الهلال عن الأفق لحظة غروب قرص الشمس في عمان (٧) درجات و (٥٨) دقيقة و (٣٥) ثانية، وستكون فتحة الهلال متجهة كثيرا جهة الجنوب أي إلى يسار الراصد.

وبحسب المعايير الفلكية الحديثة، فان رؤية الهلال ستكون مستحيلة في روسيا وشمال آسيا وشمال أوروبا، كما ستكون الرؤية غير ممكنة مساء الثلاثاء في استراليا وأواسط آسيا والشرق الأوسط

وشمال إفريقيا وأمريكا الشمالية، بينما يتوقع أن يشاهد الهلال من خلال التلسكوبات الفلكية في النصف الجنوبي من قارة إفريقيا وجنوب المحيط الأطلسي، ويتوقع أن يشاهد بالعين المجردة يوم الثلاثاء في غرب أمريكا الشمالية والمحيط الهادئ.

**إن هذه المعلومات الفلكية** تبين انه سيتعذر على المسلمين رؤية هلال رمضان مساء الثلاثاء العاشر من شهر آب، ويتوقع بناء على ذلك أن يكون هنالك إكمال عدة، ويكون يوم الأربعاء هو المتمم لشهر شعبان، ويكون يوم الخميس الموافق للثاني عشر من شهر آب هو أول أيام شهر رمضان الفضيل بإذن الله تعالى.

### ❖ القمر الصناعي الخاص برصد الأهلة:

اخبرنا مسؤولون في الأردن بأن منظمة المؤتمر الإسلامي، تحضر لإطلاق قمر صناعي خاص بالعالم الإسلامي، يخدم المسلمين في مجالات مختلفة مثل الاتصال والاستشعار عن بعد وأهداف أخرى، ومن ضمن هذه الأهداف رصد هلال أوائل الشهور القمرية ومن ثم تحديد موعد العبادات والمناسبات الإسلامية المختلفة، مثل تحديد بداية شهر رمضان المبارك وشهر شوال وموسم الحج، والشهور القمرية الأخرى بحيث يتم اعتماد طريقة موحدة في العالم الإسلامي، وبالتالي عمل تقويم هجري موحد في بلاد المسلمين، بحيث لا يكون هنالك اختلاف في التقويم الهجري بين دولة وأخرى، خاصة الدول القريبة من بعضها البعض جغرافيا ولا اقصد السياسية منها!

والحقيقة أن الفكرة إذا ما كتب لها النجاح وتحقق وجود قمر صناعي إسلامي لهذا الغرض، فهو في حقيقة الأمر عمل رائع يستحق الإشادة ولا شك انه يدخل العالم الإسلامي عصر الفضاء من أوسع أبوابه، ولكن السؤال الهام الذي يطرح نفسه الآن وهو: هل سيحل القمر الصناعي مشكلة تحديد بداية الشهور القمرية، بحيث لا تختلف الدول الإسلامية فيما بينها أم أن المشكلة ستبقى قائمة؟

من خلال تجربتي المتواضعة والطويلة في هذا المجال، أرى أنني غير متفائل من

أن القمر سيحل هذه المشكلة، بل أظن بصراحة أن المشكلة ستبقى قائمة، والسبب بكل بساطة انه ليس العامل الفلكي هو مشكلة تحديد أوائل الشهور القمرية، فخبراء الفلك لديهم مؤلفات وبرامج حاسوب منذ عشرات السنين، تستطيع حساب بداية جميع الشهور القمرية حتى آلاف السنين القادمة، وبدقة بالغة ليس فيها أي شك، وهذه الكتب والبرامج الفلكية موجودة بين متناول أيدي علماء الاسلام، الذين هم أصحاب العلاقة في تحديد موعد بداية الشهور القمرية، ومع ذلك فالاختلاف موجود في تحديد بداية الشهور القمرية، ونجد ان لكل دولة تقويم هجري يختلف عن الدولة الأخرى، مع انه في الأصل يجب أن لا يكون هذا الاختلاف موجودا، بل يجب أن يكون هنالك تقويم هجري موحد في العالم الإسلامي.

وعلى الرغم من أن بعض الدول الإسلامية، عقدت العديد من المؤتمرات من اجل الاتفاق على وضع سياسة خاصة موحدة في تحديد بداية الشهور القمرية، جمعت علماء الفلك والشرع من مختلف الدول الإسلامية، وتم الاتفاق على نقاط هامة للغاية إذا ما اتبعت بالفعل، فلن يكون هنالك اختلاف في تحديد بداية رمضان وعيد الفطر والشهور الأخرى.

لكن وللأسف الشديد كل قرارات هذه المؤتمرات بقيت حبرا على ورق، حيث لم يلتزم بهذه القرارات مما يعني أن ثمة أسباباً أخرى غريبة تدخل في الموضوع، من أهمها عدم الاعتراف بالعلم أصلا! حيث يظن بعض علماء الشرع أن الحسابات الفلكية، هي تنجيم ولا يجوز الاعتماد عليها، لذلك عندما لا يتمكن خبراء الفلك من رصد الهلال بالمراصد الفلكية الضخمة والمتطورة وتؤكد عدم رؤية الهلال، نرى انه يتم إثبات رؤية الهلال حسب الشريعة الإسلامية!

لهذه الأسباب ولهذه الحقيقة المرة التي نعيشها، جعلتني غير متفائل من أن القمر الصناعي سيحل مشكلة رؤية الهلال لأنه لن يعتمد عليه مهما كان دقيقا وسنجد من علماء الدين من يحرم الاعتماد على هذا القمر، وعليه فإنني اقترح أن يتم استغلال الأموال المخصصة للقمر في أماكن أخرى.

# طريقان لمعرفة الله تعالى

■ بقلم الطالبة هديل هندم

**ان الله تعالى يدعو عباده في كتابه الكريم الى التعرف عليه من طريقين: أولهما: النظر في مفعولاته، والثاني: التفكر في آياته وتدبر معانيها.**

**النوع الأول، كقوله تعالى: ﴿ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس..﴾.. الى آخرها.**

**والنوع الثاني: كقوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ فالمفعولات إنما هي المشيرة او الدالة على الأفعال والأفعال تشير على الصفات وذلك يستلزم وجوده ومشيئته وعلمه لمعرفة الفعل الاختياري من معدوم او موجود لا قدرة له ولا حياة له ولا علم ولا ارادة.**

ثم ما في الأفعال من التخصيصات المتنوعة دال على إرادة الفاعل، وان فعله ليس بالطبع بحيث يكون واحداً غير متكرر، وما منها من النفع والاحسان والخير الدال على رحمته، وما فيها من الانتقام والتجبر والعقوبة دال على غضبه، اما ما فيها من الاكرام والعناية فهو دال على محبته، وما كان فيها من الاهانة والابعاد والخذلان دال على بغضه ومقته.

وما فيها من ابتداء الشيء في هدف

النقص والضعف دال على وقوع المعاد، وما منها من ظهور آثار الرحمة والنعمة على خلقه دال على صحة النبوات، وما فيها من الكمالات التي لو عدمتها كانت ناقصة دليل على ان معطي تلك الكمالات أحق بها من سواه.

فمفعولاته دليل على صفاته، وصدق ما أخبرت به رسله عنه، فالمصنوعات شاهدة تصدق الآيات المسموعة، الآيات المصنوعة كقوله تعالى: **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾** اي ان القرآن الكريم حق وأنه لا بد ان يريهم آياته المشهودة حتى يبين ان آياته المتلوة حق، فآياته شاهدة على صدقه وهو شاهد بصدق رسوله بآياته، فهو الشاهد والمشهود له، وهو الدليل والمدلول عليه، فهو الدليل بنفسه على نفسه كما قال بعض العارفين: كيف اطلب الدليل على من هو دليل لي على كل شيء، فأي دليل طلبته عليه فوجوده أظهر منه.

# العشر الأواخر من رمضان

■ بقلم الاستاذ ناصر بن محمد الأحمد

**فها هي أيام رمضان تسارع مؤذنة بالانصراف والرحيل، وها هي أيام العشر تحل لتكون الفرصة الأخيرة لمن فرط في أول الشهر، أو لتكون التاج الخاتم لمن أصلح ووفى فيما مضى.**

**العشر الأخيرة من شهر رمضان سوق عظيم يتنافس فيه العاكفون وموسم يضيق فيه المفرّطون، وامتحان تبتلى فيها الهمم، ويتميز أهل الآخرة من أهل الدنيا، طالما تحدث الخطباء وأطنب الوعاظ وأفاض الناصحون بذكر فضائل هذه الليالي، ويستجيب لهذا النداء الحاني قلوب من خالط الإيمان بشاشتها، فسلكت هذه الفئة المستجيبة طريق المؤمنين، وانضمت إلى قافلة الراكعين الساجدين، واختلطت دموع أصحابها بدعائهم في جنح الظلام، وربك يسمع ويجيب، وما ربك بظلام للعبيد.**

أما الفئة الأخرى فتسمع النداء وكأنه لا يعنيها، وتسمع المؤمنين وهم يصلون في القيام لخالقهم وكأنه ليس لهم حاجة بل كأنهم قد ضمنوا الجنة.

**فهل يتأمل الشاردون؟ وهل يعيد الحساب المفرطون؟**

أيها القراء، هذه أيام شهركم تتقلص، ولياليه الشريفة تتقضَّى، شاهدة بما عملتم، وحافظة لما أودعتم، هي لأعمالكم خزائن محصنة، ومستودعات محفوظة،

تدعون يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ آل عمران: ٣٠ ، ينادي ربكم: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

**هذا هو شهركم، وهذه هي نهاياته، كم من مستقبل له لم يستكمله؟ وكم من مؤمل يعود إليه لم يدركه. هلا تأملتم الأجل ومسيره، وهلا تبينتم خداع الأمل وغروره.**

إن كان في النفوس زاجر، وإن كان في القلوب واعظ، فقد بقيت من أيامه بقية، بقيةٌ وأي بقية، إنها عشره الأخيرة، بقية كان يحتفي بها نبيكم محمد ﷺ أيما احتفاء، في العشرين قبلها كان يخلطها بصلاة ونوم فإذا دخلت العشر شمر وجد وشد المئزر، هجر فراشه، أيقظ أهله، يطرق الباب على فاطمة وعلي رضي الله عنهما قائلاً: «ألا تقومان فتصليان» يطرق الباب وهو يتلو: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ طه: ١٣٢، ويتجه إلى حجرات نسائه آمراً وقائلاً: «أيقظوا صواحب الحجر، فرب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة»، كان النبي ﷺ إذا بقي من رمضان عشرة أيام لا يدع أحداً من أهله يطيق القيام إلا أقامه.

أيها المسلمون، اعرفوا شرف زمانكم، واقدروا أفضل أوقاتكم، وقدموا لأنفسكم، لا تضيعوا فرصة في غير قربة.

إحسان الظن ليس بالتمني، ولكن إحسان الظن بحسن العمل، والرجاء في رحمة مع العصيان ضرب من الحمق والخذلان، والخوف ليس بالبكاء ومسح الدموع ولكن الخوف بترك ما يخاف منه العقوبة.

أيها السادة، قدموا لأنفسكم وجدوا وتضرعوا، تقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: يا رسول الله، أرأيت إن علمت ليلة القدر ماذا أقول فيها؟ قال: قولي: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني».

نعم، الدعاء الدعاء. عُجُّوا في عشركم هذه بالدعاء. فقد قال ربكم عز شأنه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ البقرة: ١٨٦،

من هم هؤلاء العباد؟ الخلائق كلهم عباد الله. ولكن هؤلاء عباد مخصوصون إنهم العباد من أهل الدعاء، عباد ينتظرون الإجابة، إنهم السائلون المتضرعون، سائلون مع عظم رجاء ومتضرعون في رغبة وإلحاح: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.

إن للدعاء من القلب المخلص، شأناً عجيباً، وأثراً عظيماً في حسن العاقبة، وصلاح الحال والمآل والتوفيق في الأعمال والبركة في الأرزاق.

هذا الموفق الذي أدركه حظه من الدعاء ونال نصيبه من التضرع والالتجاء، يلجأ إلى الله في كل حالاته، ويفزع إليه في جميع حاجاته، يدعو ويدعى له، نال حظه من الدعاء بنفسه وبغيره، والداه الشغوفان، وأبناؤه البررة والناس من حوله كلهم يحيطونه بدعواتهم، أحبه مولاه فوضع له القبول، فحَسُن منه الخلق وزان منه العمل، فامتدت له الأيدي وارتفعت له الألسُن تدعو له وتحوطه، ملحوظ من الله بالعناية والتسديد، وبإصلاح الشأن مع التوفيق.

أين هذا من محروم مخذول لم يذق حلاوة المناجاة، يستنكف عن عبادة ربه، ويستكبر عن دعاء مولاه. محروم سد على نفسه باب الرحمة، واكتسى بحجب الغفلة.

إن نزع حلاوة المناجاة من القلب أشد ألوان العقوبات والحرمان، ألم يستعذ النبي ﷺ من قلب لا يخشع وعين لا تدمع ودعاء لا يسمع؟.

إن أهل الدعاء الموفقين حين يعُجُّون إلى ربهم بالدعاء، يعلمون أن جميع الأبواب قد توصد في وجوههم إلا باباً واحداً هو باب السماء. باب مفتوح لا يغلق أبداً، فتحه من لا يرد داعياً ولا يخيب راجياً، فهو غياث المستغيثين، وناصر المستنصرين، ومجيب الداعين.

أيها المجتهدون، يجتمع في هذه الأيام أوقات فاضلة وأحوال شريفة، العشر الأخيرة، جوف الليل من رمضان، والأسحار من رمضان، دبر الأذان والصلوات المكتوبات، أحوال السجود، وتلاوة القرآن، مجامع المسلمين في مجالس الخير والذكر، كلها تجتمع في أيامكم هذه. فأين المتنافسون؟ فاجتهدوا

بالدعاء سلوا ولا تعجزوا ولا تستبطئوا الإجابة.

فيعقوب عليه السلام فَقَدَ ولده الأول ثم فقد الثاني في مدد متطاولة، ما زاده ذلك بربه إلا تعلقاً: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الحكيم﴾ يوسف: ٨٣، ونبي الله زكريا عليه السلام؛ كبر سنه واشتعل بالشيب رأسه ولم يزل عظيم الرجاء في ربه حتى قال محققاً: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ مريم: ٤، لا تستبطئ الإجابة أخي القارئ فربك يحب تضرعك، ويحب صبرك، ويحب رضاك بأقداره، رضاً بلا قنوط، يبتليك بالتأخير لتدفع وساوس الشيطان، وتصرف هاجس النفس الأمارة بالسوء، وقد قال نبيك محمد ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي».

كما يجمل الدعاء وتتوافر أسباب الخير ويعظم الرجاء، حين يقترن بالاعتكاف، فقد اعتكف رسول الله ﷺ هذه الأيام حتى توفاه الله.

عجيب هذا الاعتكاف في أسراره ودروسه؟ المعتكف، ذكرُ الله أنيسه، والقرآن جليسه، والصلاة راحته، ومناجات الحبيب متعته، والدعاء والتضرع لذته.

إذا أوى الناس إلى بيوتهم وأهليهم، ورجعوا إلى أموالهم وأولادهم لازم هذا المعتكف بيت ربه وحبس من أجله نفسَه، ويقف عند أعتابه يرجو رحمته ويخشى عذابه، لا يطلق لسانه في لغو ولا يفتح عينه لفحش ولا تتصنت أذنه لبذاء، سلم من الغيبة والنميمة، جانب التنابز بالألقاب، والقدح في الأعراض، ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة، استغنى عن الناس وانقطع عن الأطماع، علم واستيقن أن رضا الناس غاية لا تدرك.

في درس الاعتكاف انصرف المتعبد إلى التفكير في زاد الرحيل وأسباب السلامة، السلامة من فضول الكلام، وفضول النظر، وفضول المخالطة.

في مدرسة الاعتكاف يتبين للعابد أن الوقت أغلى من الذهب فلا يبذله في غير حق، ولا يشتري به ما ليس بحمد، يحفظه عن مجامع سيئة، بضاعتها أقوال لا خير

في سماعها، ويتباعد به عن لقاء وجوه لا يسر لقاؤها.

أيها المسلمون، أوقاتكم فاضلة تشغل بالدعاء والاعتكاف، وتستغل فيها فرص الخير وإن من أعظم ما يرجى فيها ويتحرى ليلة القدر: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾، من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

ليلة خير من ألف شهر، خفي تعينها اختباراً وابتلاء، ليتبين العاملون وينكشف المقصرون، فمن حرص على شيء جدّ في طلبه، وهان عليه ما يلقى من عظيم تعبه. إنها ليلة تجري فيها أقلام القضاء بإسعاد السعداء وشقاء الأشقياء: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ الدخان: ٤، ولا يهلك على الله إلا هالك.

هذه الأيام، أعظم الأيام فضلاً وأكثرها أجراً، تصفو فيها لذيذ المناجاة، وتسكب فيها غزير العبرات، كم لله فيها من عتيق من النار؟ وكم فيها من منقطع قد وصلته توبته؟ المغبون من انصرف عن طاعة الله، والمحروم من حرم رحمة الله، والمأسوف عليه من فاتت فرص الشهر، وفرط في فضل العشر، وخاب رجاؤه في ليلة القدر، مغبون من لم يرفع يديه بدعوة، ولم تذرف عينه بدمعة، ولم يخشع قلبه لله لحظة.

ويحه ثم ويحه أدرك الشهر. ألم يحظ بمغفرة؟ ألم ينل رحمة؟ يا بؤسه ألم تقل له عثرة؟ ساءت خليقته وأحاطت به خطيئته، قطع شهره في البطالة وكأنه لم يبق للصلاح عنده موضع، ولا لحب الخير في قلبه منزع. طال رقاده حين قام الناس؟ هذا والله غاية الإفلاس. عصى رب العالمين، واتبع غير سبيل المؤمنين؟ أُمر بالصلاة فضيعها، ووجبت عليه الزكاة فانتقصها ومنعها؟ دعته دواعي الخير فأعرض عنها، مسئولياته قصّر فيها، وقصّر فيمن تحت يديه من بنين وبنات يفرط في مسئولياته وقد علم أن من سنة رسول الله ﷺ أنه يوقظ أهله. أما هذا فقد اشتغل بالملهيات وقطع أوقاته في الجلبة في الأسواق والتعرض للفتن.

اللهم رحمة اهد بها قلوبنا..

اللهم تقبل منا الصيام والقيام وسائر الأعمال..

# خطبة الجمعة

## قال الله تعالى:

## ﴿وأن تصوموا خير لكم..﴾

بقلم الأستاذ محمد السعدي

**ها قد جاءكم شهر رمضان، شهر الصوم، شهر الطاعة والعبادة، شهر التوبة والمغفرة، شهر البر والاحسان، شهر الذكر والقرآن، شهر التضحية والجهاد.**

**ها قد جاءكم شهر مبارك تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتصفد الشياطين.. أوله رحمة وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار.. فيه ليلة خير من ألف شهر.**

ها قد جاءكم شهر فيه ينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، فأروا الله من أنفسكم خيراً.

ها قد هل عليكم هلال رمضان الذي جعله الله عز وجل موسماً للتوبة، وفرصة لنيل المغفرة وتكفير الخطايا ومحو الذنوب.

فاغتنموا هذه الفرصة -اخوة الاسلام- بالطاعة والعبادة والعمل

الصالح و **﴿توبوا الى الله توبة نصوحاً عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير﴾**.

صوموا هذا الشهر، وأحسنوا الصيام، وأحيوا ليله بالذكر والقيام، وابتغوا وجه الواحد الديان ليتحقق فيكم قول رسولكم محمد ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه».

صوموا مخلصين، واقرءوا القرآن متدبرين، ليشفع لكم الصيام والقرآن **﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم﴾**، فالصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة: «يقول الصيام: اي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان» كما قال حبيبنا وشفيعنا محمد ﷺ.

**إخوة الإيمان؛**

ان الله عز وجل أنزل القرآن الكريم في شهر رمضان: **﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾** وانها لنعمة عظيمة، ومنة كبيرة، وشرف عظيم لهذه الأمة التي كرمها الله عز وجل بحمل رسالته ونشر دينه **﴿لقد أنزلنا اليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾**.

وانها لنعمة عظيمة ان ينزل الله للمسلمين كتاباً يهديهم الى الصراط المستقيم والمنهج القويم، وينظم أمور حياتهم، ويقيم العدل بينهم، ويحل مشاكلهم، ويحقق لهم العزة والسعادة **﴿ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجراً كبيراً﴾**.

انها لنعمة عظيمة أنعم الله بها على المسلمين، وإنها لتستأهل الشكر وتستحق الثناء والحمد، والله عز وجل شرع لنا الصيام في شهر رمضان،

لنقوم بتلك العبادة شكراً لله عز وجل على نعمة القرآن الذي نزل في شهر رمضان.

**عباد الله؛**

ان الله عز وجل لم يشرع الصوم ليعذبنا أو ينتقم منا **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾**.

وانما شرع الله الصوم لحكمة بالغة، ومصالح عظيمة تعود على المسلم بالخير والسعادة، ففي الصوم تتحقق الطاعة لله تعالى **﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾** وفي الصوم تتحقق العبودية لله، هذه العبودية التي خلق الله الجن والانس لأجلها **﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ❖ ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون ❖ ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾**.

وفي الصوم ينعم المؤمن بقرب الله عز وجل فيشعر بالطمأنينة وينعم بالسكينة **﴿الذين ءامنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾**.

وبما ان الصوم مظهر من مظاهر العبودية الحقيقية لله عز وعلا، فقد فرضه تعالى على كل الأنبياء عليهم السلام، وجعله ركناً من أركان الرسالات السماوية **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾** ولأن الصوم تتحقق فيه العبودية والتضحية، فقد نسبه الله تبارك وتعالى لنفسه وتولى تقدير ثوابه بذاته، يقول سيدنا محمد ﷺ: «كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: الا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشهوته من أجلي».

وفي الصوم سمو بالروح، وتحرر من سلطان الغرائز والشهوات، ومن أسر المادة والعادات، حيث يصبح الصائم كالملاك يقف نفسه على عبادة الله وشكره وذكره.

والصوم مدرسة تعلمنا الأمانة والإخلاص حيث نمسك عن المفطرات في السر والعلن، لأن الله عليها رقيب حسيب، والذي يتعلم كيف يكون أميناً مع الله خلال شهر كامل، فإنه يكون أميناً في سلوكه ومعاملاته، فلا يسرق من وقت العمل، ولا يقصر فيه ولا يأخذ ما ليس له بحق.

والصوم مدرسة تعلمنا الصبر على الشدائد والمكاره، وتدربنا على تحمل الصعاب، وتعدنا للجهاد في سبيل الله، والذي يجاهد نفسه وينتصر على شهواته ويضحي بملذاته في سبيل الله، قادر على ان يضحي بروحه وماله حين يدعو داعي الجهاد.

والصوم يزرع التقوى في القلوب، والحياة في الضمائر، وهذه هي غاية الصوم ﴿لعلكم تتقون﴾ لعل قلوبكم تمتلئ بخشية الله فتفعلوا ما أمر وتجتنبوا ما نهى عنه وزجر.

وبالصوم يعرف الانسان قيمة النعمة فيشكر الله عليها، ولا يسرف ولا يبذر ولا يضيع.

والصوم تذكير عملي بجوع الجائعين، وبؤس البائسين، يجعل المؤمن يسارع لمد يد العون لكل محتاج، والتنفيس عن كل مكروب، والتيسير على كل معسر.

والصوم مظهر من مظاهر الوحدة والمساواة بين الشعوب الاسلامية حيث يصومون في شهر واحد فتتوحد مشاعرهم وتتناغم أحاسيسهم.

**أيها المؤمنون؛**

ان الصوم قد شرع ليصلح نفوسنا، ويهذب أخلاقنا، ويصحح مسار حياتنا، ويعيدنا الى جادة الحق وطريق الصواب.

والصوم الذي يريده الله هو الذي يكف فيه المسلم عن المفطرات وعن المحرمات، إنه الصوم الذي يكف فيه اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة، وتصوم فيه الأذن عن سماع الحرام، وتمسك فيه العين عن رؤية المحرمات، ويمتنع فيه القلب عن الحقد والحسد، يقول الرسول الكريم ﷺ: «الصوم جُنَّة»

اي وقاية من المعاصي «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل: اني صائم، اني صائم»، ويقول ايضاً ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه»، فامتنعوا عباد الله عن المحرمات والموبقات حتى تفوزوا بأجر الصوم وتحققوا غاياته وأهدافه.

**أيها الأحبة؛**

ان شهر رمضان هو شهر القوة وشهر الجهاد فشمروا عن ساعد الجد والعمل، واذكروا ان اعظم معارك الاسلام قد وقعت في شهر رمضان.

ان الصوم نشاط، واظهار الكسل والعجز، اساءة الى رمضان.

وان الصوم نظافة، واهمال المظهر والهندام، إساءة الى رمضان.

وان الصوم أخلاق وفضائل، وسوء المعاملة إساءة الى رمضان.

**أيها المسلمون؛**

ان في شهركم هذا ليلة عظيمة انزل فيها الله القرآن، وضاعف فيها اجر العبادة، حتى انها لتعدل عبادة ألف شهر، فالتمسوها في الوتر من العشر الأواخر من رمضان، واحيوا ليلها بالصلاة وقراءة القرآن والذكر حتى تفوزوا بمغفرة الله ونعيم الجنة **﴿ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات اعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾** الأحزاب: ٣٥ .

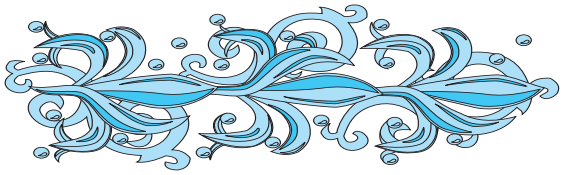

تم بحمد الله